Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (5), Issue (2) October (2024)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://www.iasj.net/iasj/journal/419/issues
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها كلية الفارابي الجامعة

التكامل المعرفي في مناهج الجامعات الإسلامية– قراءة في كتاب (أليس الصبح بقريب) للإمام محمد الطاهر ابن عاشور أنموذجاً

أ. م. د. جنيد ساجد جهاد حسن العزاوي.

تدريسي في كلية الإمام الأعظم الجامعة/ قسم أصول الدين/ سامراء

Cognitive in the curncula of Islamic univer sities areading of the book alic Al-Subh arelative of Imam Muhammad Al-tahir Ibn Ashour as a model

A.M.D. Junaid Sajid Jihad Hassan Al-Azzawi.
is teaching at Al-Imam Al-Azam university college, Department of fundamentals of Religin o Religion.

)) :junaidsa@imamaladham.edu.iq((

)07722729295(

ملخص البحث بالعربي:

ويتلخص البحث في النقاط الآتية:

١. يعدُّ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور مِن أساطين العلم والزمان، صاحب المؤلَّفات النافعة التي بلغت شهرتها الآفاق، ومنها كتابه: (أليس الصبح بقريب – التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية)، وهو كتاب ينبعُ مِمَّن أحاط بالعلوم وبالتعليم خُبراً، فوقف فيه على مكامن الخلل والزلل، وأبدى آراءَه في طريقة إصلاح مناهج التعليم في الجامعات الإسلامية، فأحببتُ أنْ تكون دراستي في آراءه الإصلاحية، ودورها في التكامل المعرفي في مناهج الجامعات الإسلامية.

٢. توصَّلنا في نهاية البحث إلى نتائج عدَّة أهمها: إنَّ تمايز موضوعات العلوم الإسلامية لا يمنع البتة مِن أنْ يحصل التكامل فيما بينها على مستوى المناهج، ونحسب أنَّ هذه ظاهرة لا تقتصر على العلوم الإسلامية وحدها، وإنَّما تكاد تشمل كافة العلوم، فقد قرَّر المتخصصون في المناهج، وعلماء البحث المعرفي أنَّ تطور المعرفة إنَّما هو رهين بقدرة الباحث، والعالِم على إعمال مجموعة مِن المناهج لتحصيل المعرفة، أو تفكيكها، وتحليلها، وهذا ما نجد الشيخ ابن عاشور قد ركَّز عليه تركيزاً عظيماً؛ ولاسيما في كتابه (أليس الصبح بقريب)، وقدْ وُفِّق للوصول إلى تطوير (الجامعة الزيتونة) والنهوض بها، ولاسيما مِن هذا الجانب. الكلمات المفتاحية:(التكامل، المعرفة، المناهج، الإصلاح، الجامعات)

وصلِّ اللهمَّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً

Search Summary:

The research is summarized in the following points:

1. Imam Muhammad Al-Tahir Ibn Ashour is considered one of The masters of science and time , the author of useful books whos fame has reached the horizons , including his book . Isnt the morning near –Arab – Islamic education historical study and reformist opinions , and it is abook that stems from those who surrounded science and education with news and in it he identified the areas of defects and mistakes . He expressed his opinions on the method of reforming educational curricula in Islamic universities . so I wanted my studies to be in his refor mist views and their role in cognitive integration in the curricula of Islamic universities.

2. At the end of the research . we reached several results , the most important of which is the different of the fopics of the Islamic sciences does not at all prevent integration between them at the level of the curricula . we believe that this is aphenomenon that is nat limited of Islmic sciences abne . but rather includes almost all of the scences carriclum specialists have decided cognitive. ore search scholars believe that the development of knowledge is dependent on the ability of the research and scientist to imp kment asset of methods to collect knowledge , or dismantle it , and analyzeit , and this is what we find sheikh Ibn Ashour focused on with great emphasis . Especiauy in his book , Isnt the morning near? He succeeded in de veloping (Al-zaytouna university) and its advancement , especiauy in this aspeet. integration, know ledge curricula, reform, universities(

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:ففي ظل الظروف المتشابكة وفي ظل التناقضات التي يشهدها العالَم اليوم؛ أصبح النظام التعليمي– ولاسيما في بلادنا – أمام تحديات لم تعد خافيةً على الكثيرين ولاسيما المتخصصين في حقل العلم، ونعتقد أنَّ إلقاء اللوم على جهة ما، أو على سببٍ مخصص، أو اتجاه معيَّن؛ يعبّرُ عن نظرةٍ قاصرة ناتجةٍ عن أُفقٍ ضيّق، فالتحديات التي يشهدها النظام التعليمي في بلادنا اليوم – ولاسيما الإسلامي – تشكَّلت مِن منطلقات عدَّة، ونتجت مِن ظروف عدَّة.

أهمِّيَّة الموضوع وسبب اختياره:

تمرُّ الجامعات الإسلامية اليوم بمنعطفات صعبة وخطيرة، فما بين النظام العالمي الذي يحاول إلغاء هوية مثل هذه الجامعات، وما بين إعلام يعمل ليل نهار على تظليل الشعوب، ونجاحه في تأليب كثير مِن المسلمين على مؤسساتهم الدينية، وما بين بعض التابعين لها الذين قد شكَّلوا عامل ضعفٍ – سواء بقصد أم بغير قصد –، إلى غير ذلك مِن الأسباب التي يطول المقام لذكرها، إلَّا أنَّ الذي يهمُّنا أكثر هو إيجاد حلول آنيَّة وسريعة تسهم في مقاومة التحديات التي تحيط بالجامعات أولاً، وتسهم في تنمية قدرات الجامعات تالياً.يعدُّ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور مِن أساطين العلم والزمان، وكيف لا وهو صاحب (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن الكريم؛ الذي بلغت شهرتُه الآفاق، وغير ذلك مِن المؤلَّفات النافعة، ومنذ مدَّة عثرتُ على كتاب (أليس الصبح بقريب – التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية)، فلمَّا قرأتُ فيه وجدتُه عظيم النفع جليل القدر؛ ينبعُ مِمَّن أحاط بالعلوم وبالتعليم خُبراً، فوقف فيه على مكامن الخلل والزلل، وأبدى آراءَه في طريقة إصلاح التعليم ولاسيما في الجامعات الإسلامية، فأحببتُ أنْ تكون دراستي هاته في نقل آراءه الإصلاحية وإمكانية تطبيقها على جامعاتنا العريقة، والله مِن وراء القصد، وصلِّ اللهمَّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً.

الكتابات السابقة في الموضوع:

لم أقف على مَن خصَّ كتاب (أليس الصبح بقريب) للإمام محمد الطاهر ابن عاشور بالدراسة، ولكن رأيتُ مَن تناوله كجزءٍ مِن تأليفه، وهو في كتاب: (مِن أعلام الزيتونة شيخُ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور– حياته وآثاره)، للباحث بلقاسم الغالي – دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٦م).

خطة البحث:

تتكون خطة البحث مِن **مقدمة**، وقد مرَّت، **ومبحثين**، وهما كالآتي:**المبحث الأول:** في التعريف بمحددات العنوان. وفيه أربعة مطالب:المطلب الأول: حياة الإمام محمد الطاهر ابن عاشور الشخصية والعلمية ووفاته المطلب الثاني: التعريف بكتاب (أليس الصبح بقريب)المطلب الثالث: التعريف بالمناهج الدراسية المطلب الرابع: التعريف بالتكامل المعرفي.**المبحث الثاني:** التكامل المعرفي عند ابن عاشور في كتاب (أليس الصبح بقريب). وفيه ثلاثة مطالب المطلب الأول: التكامل المعرفي في العلوم والتعليم– أسباب ضعف وحلول. المطلب الثاني: التكامل المعرفي في المحتوى الدراسي أسباب ضعف وحلول. المطلب الثالث: التكامل المعرفي في الوسائل والأدوات والمناهج– أسباب ضعف وحلول.**وخاتمة:** وفيها أهم النتائج التي توصلتُ إليها أثناء كتابة البحث.والله أسأل أنْ يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأنْ يعلِّمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علَّمنا إنَّه ولي ذلك والقادر عليه نِعْمَ المولى ونِعم النصير، وصلِّ اللهمَّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليماً كثيراً.

المبحث الأول التعريف بمحددات العنوان

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول حياة الإمام محمد الطاهر ابن عاشور الشخصية والعلمية ووفاته

وفيه فرعان:الفرع الأول: حياته الشخصية:

أولاً: اسمه ولقبه وكنيته:هو الشيخ الإمام محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، الشهير بـ(الطاهر بن عاشور)، أحد الأعلام المشهورين والمفسرين المعروفين[١].

ثانياً: مولده ونشأته:ولد الإمام ابن عاشور في جمهورية تونس العربية عام (١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م)[٢]، وكانت حياته التي زادت على (٩٠) عاماً جهاداً في طلب العلم، وعطاءً وافراً، ونهضةً علمية ضخمةً، وقد ولد في أسرة علمية عريقة؛ تمتدُّ أصولها إلى بلاد الأندلس، وقد استقرت هذه الأسرة في تونس بعد حملات التنصير، ومحاكم التفتيش التي تعرض لها مسلمو الأندلس، فحفظ الطاهر القرآن الكريم، والتحق بجامع الزيتونة سنة (١٣١٠هـ - ١٨٩٢م)، وهو في الرابعة عشرة من عمره، فدرس علوم الزيتونة ونبغ فيها، وأظهر همَّة عالية في التحصيل، وساعده على ذلك ذكاؤه النادر والبيئة العلمية الدينية التي نشأ فيها، وشيوخه العظام في الزيتونة الذين كان لهم باع كبير في النهضة العلمية والفكرية في تونس، وملك هاجس الإصلاح نفوسهم وعقولهم، فبثوا هذه الروح الخلَّاقة التجديدية في نفس الطاهر، وكان منهجهم أنَّ الإسلام دين فكر وحضارة وعلم ومدنية، ولم تمض سنوات قليلة حتى عيِّن مدرساً مِن الطبقة الأولى بعد اجتياز اختبارها سنة (١٣٢٤هـ)، ثمَّ توالت وظائفه وإبداعاته التي سنذكر طرفاً منها في الآتي[٣].

ثالثاً: أسرته:اتجه الأندلسيون إلى تونس مِن شرق الأندلس بنفس الكثافة التي اتجهوا بها إلى المغرب مِن غربه، واستقر عددٌ منهم في العاصمة ومنطقتها، وظل الأندلسيون التونسيون يحتفظون بشخصية مميزة أيام الحكم العثماني؛ الذي أعطاهم الحكم الذاتي تحت زعيم ينتخبونه يسمى (شيخ الأندلس)، ولم تُضيِّع الجاليات الأندلسية؛ التي حافظت على لغاتها العجمية (القطلانية، والقشتالية) إلى القرن التاسع عشر هويَّتَها إلَّا منذ بداية الاستعمار الفرنسي، فلم يعد يتذكر أصله الأندلسي منهم سوى نسبة ضئيلة، عمل جو العاصمة على صهر السكان أكثر مِن باقي المناطق التونسية، ولم تحتفظ فيها بذكراها الأندلسية اليوم سوى بعض العائلات العلمية الكبيرة، مِن أهمها عائلة (ابن عاشور)؛ التي أَثْرَتْ تونسَ بعددٍ مِن العلماء والكتاب وفقهاء المذهب المالكي، وعلى رأسهم الشيخ (محمد الطاهر ابن عاشور) وأسرته[٤]، ولا يسعنا المجال هنا إلَّا بذكر بعضٍ منهم:

أولاً: والده: محمد، عاش ما بين (١٨٦٠ - ١٩٢٠م)، وقد شغل منصب رئيس إدارة الأحباس[٥].

ثانياً: جدُّه: الشيخ أبو عبد الله محمد الطاهر بن عاشور الشريف التونسي القاضي المالكي المُفتي بها، ولد عام (١٨١٥م)، وهو أستاذ الفقه والآداب بجامعة الزيتونة، كان فصيح عصره ومفخر مِصْرِه، نقيب أشراف تونس وكبير علمائها، في عهد الباي محمد الصادق (باشا)، فقد ولي قضاءها سنة (١٢٦٧هـ)، ثم الفتيا (سنة ١٢٧٧هـ - ١٨٦١م)، فنقابة الأشراف، مِن مصنفاته: (شفاء القلب الجريح بشرح بردة المديح)، وحاشية على (شرح تنقيح الفصول) للإمام القرافي، اسمها (التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح)، (ت: ١٢٨٤هـ - ١٨٦٨م)[٦].

سادساً: ابنه: وهو الشيخ محمد الفاضل ابن الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ولد سنة (١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م)، أديب خطيب، ومن أعلام الفكر الإسلامي الحديث، عمل قاضياً للعاصمة، ومفتياً للجمهورية، وعميداً لكلية الريعة بجامعة الزيتونة، وكان دؤوباً على مكافحة الاستعمار الذي كان يسمَّى (الحماية)، وهو من أعضاء المجمع اللغوي بالقاهرة، ورابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، له مؤلفات عدَّة؛ منها: (الحركة الأدبية والفكرية في تونس) و(التفسير ورجاله)، توفي قبل والده وذلك سنة (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م)[٧].

الفرع الثاني: حياته العلمية ووفاته:

أولاً: شيوخه:قرأ بجامع الزيتونة على جماعة من الأعلام؛ منهم:

١.محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بوعَتُّور، التونسي، أحد العلماء الكتَّاب، والوزراء، من بني الشيخ عبد الكافي العثماني (نسبة إلى جدِّهم عثمان بن عفان)، ولد بتونس عام (١٢٤٠هـ - ١٨٢٥م)، والتحق بجامع الزيتونة في سنة (١٢٥٤هـ - ١٨٣٩م)، فأخذ عن أعلامه: كإبراهيم الرياحي، والإمام محمد الصالح الرضوي السمرقندي الشريف، ومن كبار رجال الدولة، وكاتب خاص لأسرار الملك، وأحد أعضاء مجلس الشورى الخاص، وقد أخذ عنه حفيده لابنته الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، (ت: ١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م)[٨].

٢.إبراهيم بن أحمد بن سليمان المارِغْني - نسبة إلى قبيلة بساحل حامد من أعمال ليبيا -، ولد بتونس عام (١٢٨١هـ - ١٨٦٥م)، قرأ على جماعة منهم: عمر بن الشيخ مفتي المالكية، ومحمود بن الخوجة الحنفي رئيس الفتوى، حاز على شهادة التطويع في سنة (١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م)، ودرّس بجامع الزيتونة كثيراً من العلوم الشرعية، ومن تلامذته الإمام محمد الطاهر بن عاشور، سمي مدرساً مِن الرتبة الأولى عام (١٣١٤هـ - ١٨٩٧م)، (ت: ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م)[٩].

ثانياً: تلاميذه:لاشك أنَّ للشيخ تلاميذ كثر، فهو مارس مهنة التدريس ولاسيما في جامعة الزيتونة لأعوام عديدة، وفي هذا المقام؛ لا يسعنا إلَّا أنْ نذكر بعضاً منهم في الآتي:

١. الشيخ عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، مؤسس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، ولد سنة (١٣٠٧هـ)، ونشأ في أسرة كريمة، ومشهورة بالعلم والأدب، سافر إلى تونس، وانتسب إلى جامع الزيتونة، وتلقى العلوم الإسلامية على جماعة من أكابر علمائه، أمثال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور؛ الذي لازمه قرابة الثلاث سنوات، فأخذ عنه الأدب العربي، وديوان الحماسة لأبي تمّام، يقول ابن باديس عن تلك المدَّة: (حبّبتني في الأدب، والتفقه في كلام العرب، وبثت فيّ روحاً جديداً في فهم المنظوم والمنثور)[١٠].

٢. محمد العيد، الشاعر الذي سجل شعره أطوار النهضة الإسلامية في الجزائر، وكان مِن تلاميذ الزيتونة بعض الوقت، وقد أجازه الشيخ ابن عاشور سنة (١٣٧٢هـ)، عندما كان محمد العيد مدرساً في عين مليلة، والإجازة تتعلق بكتب الحديث، والأدب، والشريعة الإسلامية[١١].

ثالثاً: رحلاته في طلب العلم: لم أقف حول رحلاته في طلب العلم على تفاصيل كثيرة، وإنَّما كل الذي وجدته هو أنَّه قام برحلات إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وإلى أوروبا، واستانبول حيث شارك في مؤتمر المستشرقين سنة (١٩٥١م)[١٢].

رابعاً: مؤلفاته صنَّف الإمام محمد الطاهر ابن عاشور عدداً مِن المؤلفات النافعة، نذكر أهمَّها في الآتي:

١. أليس الصبح بقريب– التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية[١٣].

٢. التحرير والتنوير في تفسير القرآن الكريم، تضمَّن خلاصة آرائه الاجتهادية والتجديدية[١٤].

٣. تحقيق ونشر (ديوان بشار بن برد)[١٥].

خامساً: الوظائف والمناصب التي شغلها: ذكرنا قريباً أنَّه التحق بجامع الزيتونة سنة (١٣١٠هـ)، وهو في الرابعة عشرة مِن عمره، وبعدها شغل الوظائف والمناصب الآتية:

١.عيّن مدرساً مِن الطبقة الأولى بعد اجتياز اختبارها عام (١٣٢٤هـ) في الزيتونة[١٦].

٢.وفي عام (١٣٢٥هـ – ١٩٠٤م) سمّي نائباً عن الدولة لدى رئاسة جامع الزيتونة، فابتدأ أعماله بإدخال نُظُمٍ مهمة على التعليم بحسب ما سمح به الحال، وحرَّر لائحةً في إصلاح التعليم، وعرضها على الحكومة، وسعى في أحياء بعض العلوم العربية التي كانت مقتصرة على النحو والبلاغة، فأكثرَ مِن دروس الصرف في مراحل التعليم، وأدب اللغة[١٧].

٣. في عام (١٣٢٩هـ – ١٩٠٨م) سمّي عضواً في لجنة تنقيح برامج التعليم، وكتب تقريراً عن حالة التعليم، فكان الاعتماد على لائحته، وقدم لائحة في إيجاد تعليم ابتدائي إسلامي منظَّم في عدد مِن المدن، وفي العام نفسه سمّي عضواً بالمجلس المختلط العقاري[١٨].

٤.وفي عام (١٣٣١هـ – ١٩١٣م)، سمّي قاضياً مالكياً للجماعة، وبموجب ذلك دخل في هيئة الرئاسة العلمية المديرة لشؤون جامع الزيتونة[١٩].

٥.وفي عام (١٣٤١هـ – ١٩٢٣م) سمّي نائباً عن الشيخ باش مفتي، وفوّض إليه مباشرة وظائفه الشرعية والعلمية[٢٠].

٦.وفي عام (١٣٦٤هـ – ١٩٤٤م) سمي شيخاً لجامع الزيتونة وفروعه، كما كان شيخ الإسلام المالكي؛ فكان أول شيوخ الزيتونة الذين جمعوا بين هذين المنصبين، واعتزل هذا المنصب خلال سنة (١٩٥١م)، بسبب العراقيل التي وضعت أمام خططه لإصلاح الزيتونة، وبسبب اصطدامه ببعض الشيوخ عندما عزم على إصلاح التعليم في الزيتونة، ولما جاء الاستقلال سمي عميداً للجامعة الزيتونة في أبريل (١٩٥٦م)[٢١].

٧.عيّن عضواً في المجمعين العربيين في دمشق عام (١٩٥٠م)، والقاهرة عام (١٩٥٥م)[٢٢].

سادساً: أقوال العلماء فيه:

١.قال عنه زميله وصديقه العلامة المرحوم الشيخ محمد الخضر حسين: ((وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم، وقوة النظر؛ صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة...، وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه، وسماحة آدابه، بأقلَّ مِن إعجابي بعبقريته في العلم))[٢٣].

٢.قال عنه الأستاذ محمد محفوظ: ((الإمام، الضليع في العلوم الشرعية، واللغوية، والأدبية، والتاريخية...، وكان جم النشاط، غزير الإنتاج، تزينه أخلاق رضية، وتواضع، فلم يكن – على سعة اطلاعه، وغزارة معارفه – مغروراً؛ كشأن بعض الادعياء ممَّن لم يبلغ مستواه...، واشتهر بالصبر، وقوة الاحتمال، وعلو الهمة، والاعتزاز بالنفس، والصمود أمام الكوارث، والترفع عن الدنايا))[٢٤].

٣.قال عنه الأستاذ عادل نويهض: ((رئيس المفتين المالكيين بتونس، وأحد كبار علمائها، مفسر، لغوي، نحوي، أديب، من دعاة الإصلاح الاجتماعي والديني))[٢٥].

سابعاً: وفاته:بعد حياة حافلة بالعلم والعطاء والتجديد والإصلاح، توفي الإمام محمد الطاهر بن عاشور، في يوم الأحد (١٣) مِن شهر رجب مِن سنة (١٣٩٣هـ)، الموافق يوم (١٢) أغسطس مِن سنة (١٩٧٣م)[٢٦]، فرحمه الله – تعالى – رحمةً واسعةً، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأدخله الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً[٢٧].

المطلب الثاني التعريف بكتاب (أليس الصبح بقريب)

إنَّ للكتاب أهمِّيَّة عظيمة؛ فهو نابعٌ ممَّن خبر العلم وأهله على مرِّ العصور؛ فنراهُ يتحدَّث بطلاقة عن بدايات العلوم ونشوئها، والأسباب الظاهرة والخفية حول ظهورها، وازدهارها وتقدمها، وكذلك ضعفها وتراجعهاإنَّ المطالع في هذا الكتاب ليجد أسباباً عدَّةً لتأليفه، ومِن أهمِّها: أنَّ الشيخ – رحمه الله تعالى– أحاط خُبراً بمواطن ضعف العلوم والتعليم، وأسباب ضعفها، وكذلك في عوامل إصلاحها ونهضتها، فقد عُيِّن مدرساً مِن الطبقة الأولى في جامعة الزيتونة، واختير للتدريس في المدرسة الصادقية –كما ذكرنا قريباً–، وكان لهذه التجربة المبكرة في التدريس بين الزيتونة (ذات المنهج التقليدي)، والصادقية (ذات التعليم العصري المتطور) أثرها في حياته، فدوَّن آراءه هاته في كتابه (أليس الصبح بقريب؟)؛ ولهذا استقال مِن المشيخة بسبب العراقيل التي وضعت أمام خططه لإصلاح الزيتونة، وبسبب اصطدامه ببعض الشيوخ عندما عزم على إصلاح التعليم في الزيتونة، وأعيد تعيينه سنة (١٣٦٤هـ)، وفي هذه المرة أدخل إصلاحات كبيرة في نظام التعليم الزيتوني؛ فارتفع عدد الطلاب الزيتونيين، وزادت عدد المعاهد التعليمية، ولدى استقلال تونس أسندت إليه رئاسة الجامعة الزيتونية سنة (١٣٧٤هـ)، كما فصَّلنا القول فيه عند حديثنا عن الوظائف والناصب التي شغلها[٢٨]ففي المرتين اللتين تولى فيهما مشيخة جامع الزيتونة أدخل إصلاحات مهمة على نظام التعليم، وفي المرة الثانية منهما أدخل في الدراسة مواد جديدة: كالفيزياء، والكيمياء، والجبر، وانتدب لتدريسها أساتذة مختصين، وهدفه الرئيس في ذلك أنْ يبني جيلاً أكفاء لا ينقصهم شيءٌ مِن المعرفة، ومثل هذه الإصلاحات لاقت ازوراراً ومقاومةً من المعتمدين على القديم الذين لا يروق لهم الخروج عن المألوف، واستعملوا مختلف الوسائل ضدَّ هذا الاصلاح؛ منها الكيد والدسّ لدى السلطة كلَّما سنحت الفرصة، وكان بعض البسطاء ينقادون لوشاياتهم المغرضة؛ وفي هذا يقول بعض الباحثين: فقد سمعتُ مرةً مِن معلم – وهو زيتوني قديم – أنَّ الشيخ ابن عاشور ألغى مِن برنامج الدراسة الكتب ذات البركة، ودهشت مِن هذا الكلام؛ فبركة الكتب في حسن أسلوبها الموصل للمعلومات بأيسر الطرق لا في قِدَمِها، وتعقُّدِ أسلوبها، وصعوبة أخذ ما فيها، فمثل هذه الكتب تجاوزتها الأحداث[٢٩]ومِن الأمور التي شكَّلت انطلاقة الشيخ ابن عاشور في الاصلاح والتي لخَّصها في كتابه (أليس الصبح بقريب)؛ وهو أنَّه أدرك أنَّ الإصلاح التعليمي يجب أنْ ينصرف بطاقته القصوى نحو إصلاح العلوم ذاتها؛ على اعتبار أنَّ المعلم مهما بلغ به الجمود فلا يمكنه أنْ يحول بين الأفهام وما في التآليف؛ فإنَّ الحقَّ سلطانٌ!!' ورأى أنَّ تغيير نظام الحياة في أي من أنحاء العالم يتطلب تبدل الأفكار والقيم العقلية، ويستدعي تغيير أساليب التعليم، وقد سعى الشيخ الطاهر إلى إيجاد تعليم ابتدائي إسلامي في المدن الكبيرة في تونس على غرار ما يفعل الأزهر في مصر، ولكنه قوبل بعراقيل كبيرة[٣٠]ولهذا نجده في بداية مقدمة الكتاب يلخِّصُ ما قدَّمناه مِن أسباب ودواعي تأليف الكتاب، بقوله: ((قد كان حدا بي حادي الآمال، وأملى عليَّ ضميري، مِن عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف؛ للتفكير في طرق إصلاح تعليمنا العربي الإسلامي؛ الذي أشعرتني مدَّة مزاولته متعلِّماً ومعلِّماً بوافر حاجته إلى الاصلاح الواسع النطاق، فعقدتُ عزمي على تحرير كتاب في الدعوة إلى ذلك، وبيان أسبابه، ولم أنشب أنْ أزجيتُ بقلمي في ابتداء التحرير؛ فإذا هو يسابقني كأنَّه مِن مطايا أبي العلاء القائل:

لو أنَّ المطيَّ لها عقولٌ وجِدّك لم نشدَّ لها رحالاً

وصادفتُ أيام عطلة التدريس الصيفية في ذلك العام، فقضيتُ هواجرها الطويلة، وبُكَرَها الجميلة، في هذا العمل، مشتغلاً به عن محادثة الأحباب، وعن دَعَةِ التنعُّم بمغتسلٍ باردٍ وشراب، حتى وقف بي القلم عند انتهاء الاستراحة في مدَّة شهرين إلى تحرير جملةٍ كانت مشجِّعَتي على مراجعة عملي هذا في ثلاثة أصياف، وعنونته (أليس الصبح بقريب).))[٣١].

المطلب الثالث التعريف بالمناهج الدراسية

المنهج لغةً:مصدر ميمي للفعل (نَهَجَ)، وهو في اللغة أَصْلَانِ مُتَبَايِنَانِ:((الْأَوَّلُ: النَّهْجُ، الطَّرِيقُ. وَنَهَجَ لِي الْأَمْرَ: أَوْضَحَهُ. وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمِنْهَاجِ. وَالْمَنْهَجُ: الطَّرِيقُ – أَيْضاً–، وَالْجَمْعُ الْمَنَاهِجُ. وَالْآخَرُ: الِانْقِطَاعُ. وَأَتَانَا فُلَانٌ يَنْهَجُ، إِذَا أَتَى مَبْهُورًا مُنْقَطِعَ النَّفَسِ. وَضَرَبْتُ فُلَانًا حَتَّى أَنْهَجَ، أَيْ سَقَطَ. وَمِنَ الْبَابِ نَهَجَ الثَّوْبُ وَأَنْهَجَ: أَخْلَقَ وَلَمَّا يَنْشَقَّ. وَأَنْهَجَهُ الْبِلَى))[٣٢].

واصطلاحاً:يستعمل لفظ المنهج في علوم التربية؛ الذي يقابله بالانجليزية (Curriculum) للدلالة على المنهج الدراسي الذي هو: ((مجموعة مِن المواد الدراسية، والخبرات العملية؛ الموضوعة لتحقيق أهداف التربية، وهو يشتمل على مجموعتين: المعلومات المستمدَّة مِن التراث الثقافي مِن حيث هي ذات قيمة موضوعية، ثم مجموعة الخبرات التي يمارسها الدارس بنفسه))[٣٣]فالمنهج – بهذا التعريف – لا يقتصر على الكتاب المدرسي؛ وإنَّما يمتد ليشمل

عناصر كثيرة منها: الخطة الدراسية، وطرق التدريس، والمواقف التعليمية والتربوية، والنشاطات الصفية وغير الصفية، وكثير مِن عناصر البيئة المدرسية[٣٤].

المطلب الرابع التعريف بالتكامل المعرفي

وهو ((لا يجب أنْ يعني: تطفُّل العلوم بعضها على بعض، أو تدخل بعضها في شؤون بعض..، فلكل علم موضوع محدد ومنهج معين..، إنما القصد من (التكامل المعرفي) هو: إحداث قيمة مضافة وايجابية بتظافر جهود علمين أو أكثر، ويمكن أن نتلمح هذا النوع من التظافر في تجارب ومحطات مختلفة، ومن ذلك أنه في مطلع القرن العشرين برزت حاجة الفيزيائيين إلى الرياضيات، وحاجة البيولوجيين إلى الكيمياء، فظهرت العلوم البينيّة (المقارنة) التي تؤكد أنَّ التطور والتقدم في علم من العلوم يعتمد على علم آخر، أو علوم أخرى))[٣٥] وبناءاً على هذا فالمعرفة في الإسلام تتميَّز بأنَّها تكاملية، ويقصد بالتكامل؛ أي: التكامل في ثلاثة مستويات متلازمة، وهي: التكامل بين مصدري المعرفة: الوحي والوجود، التكامل بين أداتي المعرفة، والتكامل بين المصادر والأدوات[٣٦]، وعليه يمكن تعريف التكامل المعرفي بأنَّه ((الصورة العلمية المتكاملة للوجود والذات، المتحققة بتفعيل الرؤية الإسلامية في كلِّ مجالات المعرفة، سواء أكانت علوماً طبيعية أم اجتماعية أم إنسانية أم شرعية))[٣٧]وهو: ((محاولة مجتهدة لإخراج المفاهيم والعلوم من قاع الجب، وإنبات براعم الثقافات الغنية، وتفكيك قيودها الصلبة، وإعادتها لسياقها الحيوي السليم في مضمار التفاعل والتناغم))[٣٨].

المبحث الثاني التكامل المعرفي عند ابن عاشور في كتاب (أليس الصبح بقريب)

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول التكامل المعرفي في العلوم وتعلمها– أسباب ضعف وحلول

أولاً: ذكر إحدى عوائق التكامل المعرفي هو الحجر عن دراسة العلوم بذريعة المحافظة على (الأمن الفكري)، فقال: ((ولم يزل التنافس على السلطة على التعليم خُلُقاً قديماً للدول والأحزاب، فقد حجر عثمان على أبي ذر أنْ يبثَّ مبادئه في اقتسام الأموال، وعلى ابن مسعود إشهار قراءته، وحجر الفقهاء على الناس قراءة الفلسفة، وتردَّدوا في إباحة تعلم علم المنطق، وحجر ملوك بني أمية بالأندلس على الناس دراسة ما عدا مذهب مالك بن أنس مِن مذاهب فقهاء الإسلام))[٣٩]، ((قال رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني (١٩٠٤م): (يجب نزع الحوائل السياسية التي تقف في سبيل العلم، ذلك السبب الحقيقي الذي يضعِّف رجال العلم، ولا يجعل لهم صوتاً تسمعه الأُمَّة، أو تبالي به الحكومة، وإذا طلب أحدٌ منهم شيئاً؛ فإنَّما يطلبه مِن تلقاء نفسه منفرداً؛ لأنَّه ليس للعلم صوت عام في أكثر مسائل الأُمة، وليس في الأمة جماعة منتظمة؛ تتكلَّم بلسان أهل العلم، وجمهور ساستنا قلَّما يعلمون شيئاً عن مقدار ما للعلم مِن الشأن في ترقية الأُمَّة، ويحسبون أنْ لا شأنْ لغير الأمور السياسية والمالية، على أنَّ الحكومة يجب عليها أنْ تنظِّمَ جيوشاً للسلم كما تنظِّمَ جيوشاً للحرب، والمدارس لها ضرورية كالبوارج، لابدَّ أنْ ينفق عليهما سواء)أ.هـ))[٤٠].

ثانياً: ذكر الإمام ابن عاشور نوعين مِن العلوم في الحضارة الإسلامية: فمنها نوع استحدثها المسلمون وهي اثنا عشر علماً، وانبثقت مِن شريعتهم، ومنها علوم فكرية نقلت مِن حضارات الأمم السابقة؛ فأخذها المسلمون، وقاموا بتنقيتها، وهكذا اجتمعت هذه العلوم؛ فشكَّلت دوحةً مِن العلوم والمعارف المتناغمة والمتكاملة، فاستطاعت بناء حضارة إسلامية عريقة، وبفترةٍ وجيزةٍ مِن الزمن، فيقول الإمام ابن عاشور: ((هذه العلوم التي استحدثها المسلمون، ونشأت مع مدنيتهم، وشبَّت بشبابها، وهي اثنا عشر علماً: تفسير القرآن، الحديث، النحو، الصرف، التصوف، والوعظ، العروض، الفقه، الأصول، الأدب، البلاغة، التاريخ...، هكذا تطور التعليم العربي الإسلامي مِن ابتداء نشأته؛ فإنَّ نشأة العلوم العربية الإسلامية وعلوم اللغة العربية؛ كانت متولدةً مِن التعليم الإسلامي؛ إذ ما دوِّنَت كتب تلك العلوم إلَّا تبعاً للدراسة، واستقراء مسائل العلوم مِن مواقعها، فكان صنيعهم ذلك مُنشِئاً لعلوم، ومكملاً لسير علوم ابتدأت مِن قبلُ كما رأيت.بعد أنْ رأوا هذه العلوم قد أخذت مستقرها التفتت همَّة الخلفاء العباسيين إلى نقل العلوم الفكرية عن الأقدمين مِن: الفرس، والهنود، واليونان، والنسطوريين، فكان ابتداء عنايتهم بذلك في زمن أبي جعفر المنصور في حدود سنة (١٤٠هـ)، فهو الذي اعتنى بترجمة كتب الفلك المنقول عن كتب الهند والفرس، كما عني بالطب اليوناني، وجعل لتعليمه حلقةً بنى لها موضعاً، وسماه (بيت الحكمة).))[٤١].((فأوسع المأمون خُطاه في طلب العلوم الرياضية، وترجمتها، والفلسفة العلمية والنظرية، فالعلمية: هي الأخلاق، وتدبير المنزل، وسياسة المملكة، والنظرية ثلاثة علوم: أسفل، وهو الطبيعي، وأوسط: وهو الرياضي – أعني: الحساب، والهندسة، والهيئة، والموسيقى، والجبر، والمساحة، وجرِّ الأثقال، وعمل الحيل المتحركة، المعروف اليوم بالماكينيكية، وعلم المناظر والمرايا–، وأعلى: وهو الإلهي، ويسمى: ما بعد الطبيعة، أو ما وراء الطبيعة.وما اقتصر العرب على ما وجدوا؛ بل نقحوا كتب اليونان، وأضافوا إليها مجرباتهم، وكل ذلك بحثِّ المأمون، وإشادته ذكر هذه العلوم))[٤٢].

ثالثاً: وقد مرَّت العلوم والمعارف في الحضارة الإسلامية بأطوار عدَّة، فما بين طور نهضة، وطور تراجع وتأخر، وتوقف، وفي هذا يقول الإمام ابن عاشور: ((وممَّا تقدَّم إلى هنا تعلمْ: أنَّ العلوم التي كانت تدرس وتدوَّن يومئذٍ – يقصد: إلى نهاية القرن الثالث هجرية تقريباً– تنتهي إلى اثنين وثلاثين علماً، هي: التفسير، الحديث، السيرة، اللغة، النحو، الصرف، التصوف، العروض، الفقه، أصوله، التاريخ، الطب، آداب العرب، البلاغة، الفلك، المنطق، الفلسفة، الهندسة، الحساب، الهيئة، الجغرافيا، الموسيقى، علم الحيوان، الطبيعة، الرواية والقصص، الكلام، الصيدلة، الكيمياء، الفلاحة، المساحة، الجبر، جر الأثقال والتحرك، وتتبعها علوم تتفرع مِن بعضها، مثل: مصطلح الحديث، والجدل، وآداب البحث، ونقد الشعر.ثمَّ وقفت العلوم فجأة بما فاجأ الدولة العربية مِن تداخل التتار في شؤون الدولة مِن سنة (٦٤٧هـ) حين قتل المتوكل، فكان تقدُّم العلوم بعد ذلك في بعض الفترات بطيئاً متكلِّفاً، لا باعث عليه إلَّا حبُّ بعض الملوك الدعاة اسم الانتصار للعلم؛ ليمتلكوا قلوب العلماء الذين هم يومئذٍ قدوة العامة))[٤٣].((فانكشف القرن الرابع عن حالة جديدة في العلم وهي حالة النقد والتصحيح والتعليل والتمحيص، ونبغ في هذا القرن أمثال الباقلاني وإمام الحرمين، والغزالي، وطارت سمعتهم في الآفاق، فصار طلبة العلم ينتحلون طريقتهم، ويتشبهون بهم، وإنَّ هاته الحالة قد اقتبست مِن طريقة الفلاسفة، وهذه حالة محمودة جداً غير أنَّها قارنتها حالة أخرى؛ استتبعتها، وهي حالة الميل إلى معرفة كثير مِن العلوم، والمشاركة فيها، وهذا ممَّا يستدعيه الحكم والنقد في العلوم، وممَّا يستدعيه – أيضاً– تشبُّه أصحاب العلوم الإسلامية بأصحاب العلوم الفلسفية، إذ جعل هؤلاء الأخيرون علومهم متولِّداً بعضُها عن بعض، ومتفرعاً عليه، فاحتذى أصحاب العلوم الإسلامية حذوهم، فكنت تجد العالم يريد أنْ يكون فقيهاً أصولياً نحوياً أديباً شاعراً، وقد كان المثل لهم في ذلك أبا حامد الغزالي، وبهذه الطريقة اضمحلَّت صفة الاختصاص العلمي، والإمامة في علم معيَّن، وانتفع العلم بهذه الحالة مدَّةً طويلةً، إذ قد انكبَّ العلماء على النقد والتحرير، فهذَّبوا العلوم، والتآليف، وأجادوا التقاسيم والتفاريع.ثمَّ إنَّ الميل إلى المشاركة استفحل في طلبة العلم؛ فأضرَّ العلم بانصراف طلبته عن تحقيق العلوم، حتى أنَّ مَن يكون في طبعه الميل إلى التحقيق إذا جمع بين التحقيق والمشاركة؛ توزَّعت مواهبه؛ لأنَّه يطلب المشاركة والبحث في جميعها، وبالضرورة يقتنع مِن كل علم بعلالة؛ فأثَّر ذلك اشتغالهم بتتبع المباحث اللفظية، فوقفت العلوم عن الزيادة والتمحيص، ثمَّ صارت التآليف منحصرةً في طررٍ وحواشٍ، ونقودٍ وردود، وكان أكثر تأثير ذلك على تأخر الأدب العربي؛ فإنَّ ميلَ كلِّ طالبٍ إلى أنْ يكون شاعراً كاتباً عالماً مؤلِّفاً؛ قضى بأنْ يقتنع بالقليل مِن كلِّ ذلك، فتأخَّر الأدب تأخراً عظيماً، وتضاءل النبوغ إلَّا نادراً))[٤٤]((وقد وصف القاضي أبو بكر ابن العربي في كتاب (العواصم) مِن صفة التعليم بالأندلس؛ فقال: "كانوا إذا عقل الصبي علموه القرآن، فإذا حذقه نقلوه إلى الأدب، فإذا نهض منه أحفظوه (الموطأ)، فإذا أتقنه؛ نقلوه إلى (المدونة)، ثم إلى (أحكام ابن سهل)، و(وثائق ابن العطار)". ومَن انحاز منهم إلى بعض العلوم العربية درجوه في كتبها. وهي مشمولة لاسم الأدب السابق في وصف التعليم. وهم بالعلوم العقلية قد شبُّوا على عقول المتعلمين نور الفكر؛ فأنشأوا أئمةً نظَّاراً))[٤٥].

المطلب الثاني التكامل المعرفي في المحتوى الدراسي أسباب ضعف وحلول

ونقصد بالمحتوى الدراسي – كما قدَّمنا في تعريف المناهج–: المواد الدراسية، أو العلوم التي يدرسها الطلبة، وفي هذا المطلب سنتناول أهم الآراء التي قدَّمها الشيخ ابن عاشور حول أسباب ضعفها، وسبل النهوض بها، وهي كما يأتي:

أولاً: علم التفسير:بعد أنْ ذكر نموذجاً مِن علماء التفسير ومناهجهم، وأنهم أطالوا في التفسير، وأثنى على الزمخشري في إبداعه في التأكيد على المعاني البلاغية القرآنية، فقال: ((ثمَّ أصبح تفسير القرآن تسجيلاً يقيد به فَهم القرآن، ويضيِّق به معناه الذي كان السلف يقولون فيه: (إنَّه لا تنقضي عجائبه ولا تنفد معانيه)، بأسباب جرَّت إلى هذا التضييق:السبب الأول: الولع بالتوقيف والنقل – كما قدَّمنا– اتقاءً للغلط؛ الذي عظَّموا أمرَه في القرآن حتى قال: (خطؤه كفرٌ)، زجراً للعامة عن التطرق إليه بدون تأهل لكنَّها كلمةٌ قدِّمَت حتى توهَّمها الخاصة أصلاً، فأصبح الناس يغتفرون فيه النقل ولو كان ضعيفاً أو كاذباً، ويتقون الرأي ولو كان صواباً حقيقياً؛ لأنَّهم توهَّموا أنَّ ما خالف النقل عن السابقين إخراجٌ للقرآن عمَّا أراد الله منه على أنَّه أكثر ما صحَّ منه جارٍ مجرى التمثيل بجزأيه، أو مجرى الآراء العلمية، وكثيرٌ منه مكذوبٌ، فإنَّ جماعة الوضاعين والقصاصين نسبوا لابن عباس الذي اعتمده الناس في فهم القرآن أقوالاً، فطفقوا يدخلون في التفسير مِن أفهامهم الساقطة وقصصهم ما شوَّه القرآن، وربما كان منها ما يخالف اللفظ كل المخالفة، وهذا التفسير المنسوب لابن عباس؛ قد تكلَّم العلماء في طرقه الخمسة...))[٤٦]. وراح يذكر الأدلة على صحة ما يقوله في تفسير ابن عباس. وأكمل قائلاً: ((ومِن ولع المفسرين بالتوقيف في التفسير ما ادعوه مِن أسباب النزول، وأصلها أنَّ آياتٍ نزلت على مناسبات؛ فتوسعوا فيها توسُّعاً ضيَّق معاني القرآن العليا، مع أنَّ وزان الآية العامة النازلة على سبب خاص وزان تذييلات القرآن المناسبة لما سبقها مِن الأحكام، نحو قوله تعالى: ﴿فلا جناح عليها أنْ يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير﴾ [النساء: ١٢٨]، فلا يقتضي أحدهما تخصيصاً، وقد تجاوزوا في أسباب النزول إلى الموضوعات، وأحاديث الجاهلين؛ مثل قولهم في سبب نزول آية: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]، وآية ﴿وما أرسلنا مِن قبلك مِن رسول ولا نبي إلَّا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته﴾ [الحج: ٥٢]، قال أبو بكر ابن العربي في هاته الآية مِن كتابه (أحكام القرآن): (تأملوا إلى قول

الرواة الذين هم بجهلهم أعدى للإسلام ممَّن صرَّح بعداوته)، ثم قال بعد صفحة كاملة: (فأين هذا – أي: معنى الآية– مِن قولهم – أي: الرواة المذكورين– وقد أوعدنا إليكم توصيةً أنْ تجعلوا القرآن إمامكم، وحروفه أمامكم، فلا تحملوا عليها ما ليس فيها، ولا تربطوا بها ما ليس منها))[٤٧].وقد نقل كلام الزمخشري والسكاكي حول أهمية البراعة في علمي (المعاني) و(البيان) للمفسر، حتى وإنْ بلغ ما بلغ، ما لم يبرع في هذين العلمين[٤٨]ومِن أسباب تضييق معاني فهم القرآن الكريم ما ذكره بقوله: ((السبب الثالث: الضعف في علوم؛ يضنونها بعيدة عن القرآن، وهي ضرورية لمعرفة عظمته العمرانية، مثل: التاريخ، وفلسفة العمران، والأديان، والسياسة))[٤٩]ثمَّ ذكر الطريقة المثلى للمتصدي لتفسير القرآن الكريم، بقوله: ((فإذا تقرر هذا لديك؛ علمت أنَّ الوصف الذي يجدر أنْ يؤسَّس عليه إصلاح علم التفسير، ويكون منخولاً مِن التفاسير، هو أنَّ تفسير التراكيب القرآنية جرياً على تبيين معاني الكلمات القرآنية؛ بحسب استعمال اللغة العربية، ثمَّ أخذ المعاني مِن دلالة الألفاظ، والتراكيب، وخواص البلاغة، ثم استخلاص المعاني المدلولة منها بدلالات المطابقة، والتضمين، والالتزام؛ ممَّا يسمح به النظم البليغ، ولو تعدَّدت المحامل والاحتمالات، ثمَّ نقل ما يؤثر عن أئمة المفسرين مِن السلف والخلف؛ ممَّا ليس مجافياً للأصول، ولا للعربية، وأنْ يتجنَّب المفسر الاستطراد، والاندفاع في أغراض ليست مِن مفادات تراكيب القرآن، فيجعل الآيات منافذ؛ يخرج منها إلى أغراض دعائية، أو مذهبية، أو حزبية، حتى تصير الآيات القرآنية بمنزلة عناوين لمقالات صحفية))[٥٠].

ثانياً: علوم الحديث النبوي الشريف:وفي الحديث النبوي لا يؤمن الشيخ بالأخذ بالحديث الضعيف، فنراه يقول: ((ومِن العجيب أنَّ الإمام النووي يحكي اتفاق الحفَّاظ على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، والواجب سدُّ هذه الذريعة...، فبينما يكون أصلٌ ثابتاً بالقرآن أو بالسنّة أو بمعرفة مقصد الشريعة الحاصلة بالقياس الجلي؛ إذا بحديث يطنُّ على الآذان؛ يهدم ذلك الأصل، أو يعارضه، ولا يعدم ذلك متابعاً، وإنْ كان أساطين السلف احتاطوا فيه، فقد روي عن عمر أنَّه روي له حديث يخالف القرآن وما مضى من السنة، فقال: (لا نترك كتاب الله وسنة نبيه لقول امرأة لا ندري أصدقت أم كذبت)، وقدَّم الإمام مالك القياس الجلي والعمل الثابت بالمدينة على خبر الواحد الصحيح))[٥١].

ثالثاً: علم أصول الفقه:وفي معرض نقده لعلم أصول الفقه كان ممَّا ذكره مِن أسباب تأخره قوله: ((تضمَّن العلم مسائل لا طائل تحتها، مثل: مسألة هل كان النبي ﷺ متعبِّداً بشرع قبل نبوته، ومسألة أقل الجمع، ومسألة التكليف بالمحال، وغيرها، وهي المسائل التي جعل أبو إسحاق الشاطبي الخوض فيها مِن العبث...، الغفلة عن مقاصد الشريعة، فلم يدوِّنوها في الأصول إنَّما أثبتوا شيئاً قليلاً في مسالك العلة، مثل: مبحث المناسبة، والإخالة، والمصلحة المرسلة، وكان الأولى أنْ تكون الأصل الأول للأصول؛ لأنَّ بها يرتفع خلاف كبير، وقد وفَّق الله إليها أبا إسحاق الشاطبي، فخصَّها بقسم كبير مِن كتابه (الموافقات).))[٥٢].

رابعاً: علم الكلام والعقيدة وفي معرض الحديث عن علم الكلام، وبعد أنْ ذكر مناهج الفِرَق الكلامية، ذكر أسباب تأخُّر هذا العلم؛ فقال: ((أولها: الخلاف في الاصطلاحات والصفات، وتعديدها، وكثرة الخلاف اللفظي، مثل: مسألة هل يضل السعيد أو لا ؟ نظراً لما عند الله ولما في الواقع؟ وهل تبقى رسالة الرسول بعد موته ؟.رابعها: التنابز وإلزام لوازم المذاهب، وذلك أوجب إباية الرجوع إلى الحق، إذ في طبع الإنسان كراهية الرجوع إلى مَن يجترئ عليه، والخلاف بين العقلاء نادر لو راموا التقارب))[٥٣].

خامساً: علم اللغة العربية وخاصة النحو والصرف:وعن اللغة العربية قال: ((نعترف بأنَّ اللغة العربية ألمَّ بها الانحطاط بعد تلكم النهضات في القرن الخامس، إذ ألمَّت الأمراض الاجتماعية بالمسلمين، وفسدت الملكات بالاختلاط، وفسد الأسلوب، واقتصر الناس على ما سطِّر في تعلُّم النحو والصرف...، مع فقدان التمرين، فأصبح تعليم اللغة بمنزلة مَن يتعلَّمُ الصنائع بالتوصيف، أو يطالعها في الكتب الموضوعة لها؛ يطمع بالعمل مِن السمع؛ ولا يقرأ الرجل مسائل النحو كاملةً، ثمَّ لا يكون مِن بعدُ قادراً على تحرير رسالة، أو قول معرب، كما قالوا في المثل المولَّد: (النحو صنعتنا، واللحن عادتنا).))[٥٤]أمَّا عن أسباب ضعف علوم اللغة ولاسيما علمَي النحو والصرف؛ فقد ذكر عدَّة أسباب منها ما قاله: ((السبب الأول: إطالة المباحثة في النحو والصرف بتبيين العلل والأسباب، وهذا ناشئ عن اشتغال الدخلاء في اللغة بها، فإنَّ أهل اللغة يذهلون عن فلسفة لغتهم؛ لأنَّ الفهم بها، وسبق معانيها إلى أذهانهم عند سماع ألفاظها؛ يصرفهم عن الفكرة في دقائقها، حتى أنَّ إدراك خصائصها ولطائفها؛ يكون سجيةً لا يشعر مدركها بطريق اكتسابها، أمَّا الدخيل في اللغة المُعاني لضبطها؛ فهو ملزوز إلى التأمل في تلك الدقائق؛ لأنَّها تجمع عليه متفرقات، وتهديه إلى خبايا؛ تكون له مذكرة عند النسيان، ومميِّزة عند الاشتباه؛ ولذا كثر النبوغ في اللغة بين المولّدين مِن العرب والموالي، مثل: سيبويه مِن الموالي، والخليل ابن أحمد الأزدي مِن مولدي العرب، فالتعمُّق بالبحث وإنْ أفاد العلم إلَّا أنَّ الشغل بها في جميع أطوار التعليم تشويش للأذهان، وبذلك تنعدم فائدة تعلُّم اللسان، حتى إذا اختبرت التلميذ الذي قضى مدَّةً في تعلم النحو والصرف لا تجد عنده غير محفوظات مِن الشواهد، وقضايا مِن الحِجاج واللجاج، أمَّا حسن التعبير أو رعي قواعد الفنَّين؛ فهما عنه بمفازة، أمَّا تشحيذ الأذهان الذي قد يُعتَذر به؛ فأولى أنْ تخدم به مسائل العلوم التي تحتاج إلى التفكير والحل))[٥٥].

سادساً: علم البلاغة:أمَّا علم البلاغة؛ فيذكر الشيخ أنَّ أشدَّ مَن برع بها هو الشيخ عبد القاهر الجرجاني، والسكاكي وقد تأخر هذا العلم بعدهما، وأمَّا عن سبب تأخر هذا العلم بعدهما فيقول: ((وانحصرت تعاليم البلاغة في اختيار المعنى واللفظ؛ لتكون من الاختيار دربة للإنسان؛ تسبقه عند إرادة التعبير، وتكفيه عناء التفكر، وهذا وجه الجمع بين كلمتي الشيخ عبد القاهر؛ إذ يقول مرَّةً: إنَّ الاحتجاج بكلام العرب الذين يرمون الكلام على عواهنه، ومرَّةً يأمر بالاختيار والتوخي.ووقف المسير بعد عبد القاهر والسكاكي، وانصرف الناس إلى الولع بنقد كلاميهما، فكان ذلك مِن أسباب التأخر.والإعجاب بالمفتاح – على أنَّه ممَّا يعجب بمثله – شغل الناس بفهمه عن التقدم في أصل العلم، فعلَّقوا عليه الشروح والحواشي، ولخَّصوه، وفي ذلك ضاعت فلسفة النحارير: سعد الدين، والسيد الشريف، وعبد الحكيم))[٥٦].

سابعاً: علم المنطق:وأمَّا بخصوص تراجع علم المنطق؛ فقد ذكر أسباباً لذلك منها: ((السبب الثاني: فراغ بعض مسائله وشغورها مِن التمرين في الصناعات الخمس وغيرها، وما ذلك إلَّا لإهمال المتأخرين للغرض مِن وضعه؛ لأنَّه مِن العلوم التي لا يظهر أثرها عند دراسة كل مسالة، بل من العلوم التمرينية التي تظهر نتائجها بعد طول عمل دفعةً، فلمَّا لم يكادوا أنْ يحصلوا مِن كلِّ مسألة فائدةً عدُّوا دروسَه ألغازاً، وعاملوه بمثل ما عاملوا به سائر إخوانه مِن هذا القسم، نحو: الإنشاء، والتاريخ، والأدب، كما تقدم في تقسيم العلوم))[٥٧].

وثامناً: علم التاريخ:أمَّا عن أسباب تأخر علم التاريخ؛ فيقول: ((السبب الثالث: التعصبات والأغراض، ونصب المؤرخ نفسه حكماً؛ يرفع ويضع، وهذا سببٌ موجودٌ في كلِّ تاريخ، والمؤرِّخ إنْ بعد عن الانصاف لم يُسمع مقالُه.السبب الرابع: سوء المأخذ وفساد الاستنتاج، وهو عيبٌ في كثير مِن مؤرِّخي عصرِنا اليوم في الشرق، وشأن التاريخ أنْ يؤخذ مِن الآثار، مثل آثار المصريين على ما فيها مِن المبالغات، أو مِن النقول المعتمدة، مثل كتب المؤرخين الماضين، كمؤرخ اليونان (بلوتارخ)، والقرطاجني (هانون)، أو من الاستنتاج الصحيح الواضح))[٥٨].

المطلب الثالث التكامل المعرفي في الوسائل والأدوات والمناهج – أسباب الضعف والحلول

أولاً: أهمية أنْ تدرَّس العلوم الشرعية في جميع المراحل من الابتدائية إلى الجامعة:بعد أنْ ذكر الدراسة الدينية وأنَّها تقسم إلى ثلاث مراحل: ابتدائية ومتوسطة وتعليم عالٍ، ذكر أنَّ في سنة (١٣١٤هـ) أنشئ معهد لتدريس ما قد فات طلبة العلم في ذلك التعليم، ممَّا لم يدرسوه؛ لكي تكتمل المعرفة عندهم، فقال: ((كان الشعور بمسيس الحاجة إلى إلمام تلامذة الجامع الأعظم، بما يحتاج إليه أهل ذلك العصر، مِن العلوم الفكرية الخارجة عن العلوم الأصلية، والعلوم الآلية للشريعة الإسلامية، واللغة العربية باعثاً لنهوض عزائم النخبة مِن خريجي (المدرسة الصادقية) وغيرها مِن المدارس القائمة بالتعليم العصري العام، فسعوا لإحداث جمعية علمية؛ تهتم بتكميل ما يحتاج إليه مزاولو العلوم الإسلامية مِن العلوم التي لم تندرج في برامج تعليمهم، أو اندرجت فيها ولم تتوجه إلى مزاولتها عناية الطلبة فآلت إلى الإهمال.هاته الجمعية تأسست في (١٨) رجب سنة (١٣١٤هـ) (أربع عشرة وثلاثمائة وألف) بقرار مِن جناب الوزير الأكبر قاض بتأسيسها، ومهمتها السعي بطريقة عملية للوسائل الموصلة لتوسيع نطاق المعارف، بترتيب دروس ومحاضرات باللغة العربية في علوم الحساب، والمساحة، والجغرافيا، والتاريخ، وفي اللغة الفرنسية، ويتبع ذلك حفظ الصحة، وبادئ الطبيعيات، والكيمياء التي لا تزاول اليوم بالجامع الأعظم، يحضرها مَن يختار الحضور فيها مِن الطلبة، وغيرهم))[٥٩].وقال: ((هذا ولتوسيع دائرة المعارف ببثِّ العلوم المشار إليها بين أبناء الوطن؛ تأسست الجمعية المباركة المسماة بـ(الخلدونية)، تسمية يُتفائل منها الخلد، مضافاً لحسن النية.ولمَّا كان سوق المعارف الأعظم هو جامع الزيتونة – أدام الله عمرانه –، وهو كسائر الجوامع محبَّس على العبادة، بحيث جرت العادة أنْ لا يدرس فيه إلَّا العلوم الشرعية، أو وسائلها المشار إليها؛ سعت الجمعية الخلدونية في إنشاء هذا المحل المبارك؛ ليقبل به كل مَن أراد الاستفادة مِن الدروس، أو الكتب التي ربما لا توجد بجامع الزيتونة، وجعلته مواجهاً للجامع المذكور؛ ليعتبر كالتكملة له، وليسهل تردد التلامذة بينهما))[٦٠].وقد أنشئ مدرسة ابتدائية دينية اسمها (المدرسة التأديبية العصفورية)، وقد أيَّد الفكرة ابن عاشور بقوله: ((بتطور برامج التعليم بجامع الزيتونة مِن عام (١٢٩٢م) بوضع الترتيب الصادقي؛ أصبحت الصلة بين التعليم الابتدائي الإسلامي الذي تقوم به الكتاتيب القرآنية، ومعلموها المدعوون بالمؤدِّبين، وبين درجة التعليم الثانوي الإسلامي الذي تقوم به دروس جامع الزيتونة، وبعض الجوامع في بلدان الإيالة التونسية، صلة غير محكَمة، بحيث صار الانتقال مِن حال التعلم الابتدائي في الكتاتيب إلى التعليم الثانوي في الجامع انتقال طفرة، وقد شعرت بهذا الخلل إدارة العلوم والمعارف؛ فاهتمت بإدخال نظام على الكتاتيب، وبتأسيس مدرسة؛ وظيفتها تخريج مؤدِّبين متأهلين للقيام بهذا التعليم الابتدائي، فأسست المدرسة التأديبية في سنة (١٣١٢هـ)، وجعل مقرها في مدرسة مِن مدارس السكن لطلبة الجامع الأعظم، وهي المعروفة بـ(مدرسة ابن عصفور) الكائنة بزنقة ابن عصفور، المواجهة لباب جامع الزيتونة بسوق العطارين؛ ولهذا السبب دعيت المدرسة التأديبية بـ(المدرسة العصفورية)والغرض من تأسيسها ضبط أساليب المعلمين للتعليم الذي سميناه (الابتدائي)، وهو تعليم الكتاتيب القرآنية، بأنْ تهيئ معلمين؛ يمكنهم القيام بالتعليم في مكاتب القرآن على وجه يكفل بحفظ القرآن، وتجويده، والرسم، والخط، وحفظ المتون، وتعريف بعض مبادئ مِن معاني المتون؛ حتى يكون هذا التعليم ابتدائياً، وتحضيرياً للتعليم بالجامع الأعظم، فهاته المدرسة تعلِّم تلامذتها حفظ القرآن وتجويده،

وجميع مواد المرتبة المعبَّر عنها بالابتدائية مِن تعليم جامع الزيتونة، وهي: الفقه، والنحو، والبيان، والتوحيد، والصرف، والحساب، مع تعليم الخط، والرسم، وتعليم اللغة الفرنسية؛ ليكون المؤدِّبُ منهم قادراً على النظر في الطرق الموصلة إلى تعليم تلامذة مكتبه بما يكفل بالغرض المتقدم، ويقوم بالتعليم فيها مدرسون مِن مدرسي جامع الزيتونة))[٦١].

ثانياً: يجب مراعاة تغير الزمان والأحوال عند صياغة المناهج الدراسية:فقد ذكر أسباب تأخر المسلمين ترجع إلى سببين: الأول: عام، وهو سبب فشل المسلمين، والثاني خاص، وهو بسبب تغيير نظام الحياة الاجتماعية في أنحاء العالم تغيُّراً استدعى تبدُّل الأفكار والأغراض، والقيم العقلية، وهذا التغيير استدعى تغيير أساليب التعليم، ومقادير العلوم المطلوبة، وقيمة كفاءة المتعلمين لحاجات زمانهم، كلُّ ذلك نشأ نشئاً سريعاً، وسار سيراً فسيحاً، والمسلمون – وخاصة أهل العوم الإسلامية– في سبات عميق، حال دونهم ودون إصلاح برامج تعليمهم، فالمفروض علينا عدم الوقوف ضد كل مَن يأتي بفكرة جديدة لتطوير التعليم، حيث قال: ((ومِن العجيب أنَّ مَن يشعر منهم بخلل الأحوال، وخطر التزام المسير على النهج المتَّبع؛ فيدعوه نصحُهُ إلى إيقاظهم؛ يجد قبل كل شيء طوائف تنسبه إلى سوء المقصد، وتناظره بأنَّ هذا النهج قد أوصل أسلافَنا إلى أعلى مرتقى مِن النجاح، وأنَّه قد أنجب أساطين للعلم طبقتْ شهرتُهُم الآفاق، وربما روَّجوا بهذه المقدمات الخطابية، أو السفسطائية قناعةً في أنفسهم، وإقناعاً للدهماء، وكلهم غافلون أو متغافلون عن اختلاف العصور والأجيال، ذلك الاختلاف الذي تغيَّرت به الأساليب))[٦٢].إنَّ على المدارس والجامعات الإسلامية أنْ تتعامَل مع العلوم الحديثة مِن مقياس الوسطية والاعتدال، وذلك لأنَّ فيها ما هو نافع وما هو ضار، وعليه فإنَّ دمج المعارف الجديدة في بناء التراث الإسلامي يكون عن طريق الحذف والتعديل، وإعادة التفسير والتكييف لكلِّ مكوناته طبقاً لِمَا تمليه قيم الإسلام ونظرته للعالم، ومِن الواجب أنْ تحدّد بوضوح جهة التلاقي والملائمة بين الإسلام وفلسفة كلِّ علم – أي: مناهجه وأهدافه العليا – كما يجب أنْ تهيَّأ المثل الإسلامية، وكذلك ينبغي أنْ تعلم الأجيال الجديدة – عن طريق المناهج – كيف يقتفون خطواتهم ويوسّعون مِن آفاق المعرفة الإنسانية، وأنْ يكتشفوا المزيد مِن قوانين الله ﷻ في الخلق، ويؤسّسوا طرقاً جديدة لوضع إرادته وتكاليفه موضع التحقيق في واقع الحياة [٦٣].يقول بعض الباحثين: ((لا يخفى أنَّ قضية التكامل المعرفي والمنهجي بين العلوم بشكل عام، والعلوم الإسلامية على وجه خاص، من الصعوبة بمكان، إذ الحديث عنها يدخل في عمق المناهج وفلسفتها. والمناهج تعبر عن رؤية فلسفية وحضارية لأمة ما، إذ هي مرتبطة بمقولات معرفية حضارية، وخصائص ذاتية وواقعية لأمة ما. وهذا طبعاً – في رأينا – لا يمنع مِن التعامل مع المناهج الأخرى، أو التداخل معها في إطار يخدم مناهجنا التي نبتت واستوت على سوقها في حضارتنا))[٦٤]، وهذا ما نجد الشيخ ابن عاشور قد ركَّز عليه تركيزاً عظيماً في حياته القولية والعملية.

ثالثاً: ترك الأسلوب القديم وابتكار أسلوب جديد في التعليم والتعامل:وفي هذا الجانب يقول: ((فلابدَّ للناظر في أمر التعليم الإسلامي مِن صرف غاية حذقه ومواهبه إلى وضع برامج تحقِّق حياة هذا التعليم على حالة كاملة، وتحقق مقاصد طالبيه في معترك حياة عصرهم، وتحقق مقاصد الأمة مِن خرّيجي هذا التعليم، وذلك بتغيير الأسلوب القديم، وقد جاء في الكلمة الحكيمة: (لا تكرهوا أبنائكم على أخلاقكم؛ فإنَّهم خلقوا لزمان غير زمانكم).))[٦٥].

إنَّ العلوم التي تدرَّس بهذه المؤسسات التأهيلية لابدَّ أنْ ترتبط بنوعية التحديات الفكرية السائدة في العصر، إذ ليس مِن المعقول في شيء أنْ نتحجَّر على أدوات اجتهادية كانت منبثقة مِن منبت فكري مخصوص، ومتأثِّرةً بظروف تشكُّلها وصياغتها، وما دامت الحاجات تتغيَّر بتغيُّر وعائها الزمني؛ فإنَّ مؤهلات المجتهد ينبغي أنْ تدور مع الحاجة العصرية حيث دارت، فيكون لكلِّ عصر أدواته الاجتهادية القمينة بحلِّ معضلات الرأي وصعاب المسائل، وقد كان الإمام الشاطبي محقاً حين عزا أخطاء كثيرٍ مِن العلماء إلى الجهل المطبق بالمعرفة المقاصدية، وأكَّدَ أنَّ زلَّةَ العالِمِ أكثر ما تكون عند الغفلة عن اعتبار مقاصد الشارع في ذلك المعنى الذي اجتهد فيه، وترشيد له بتعاليم الوحي ومقاصده، ورحم الله الإمام الشافعي الذي تهدَّى بفكره الثاقب إلى أهمية المعرفة الواقعية، وانبناء الحكم الشرعي عليها؛ فقال: ((لا يحلُّ لفقيه أنْ يقول في ثمن درهم، ولا خبرة له بسوقه))[٦٦].[٦٧].

رابعاً: وضع هيئة عليا تميّزُ صالحَ التعليم من غيره وفي هذا يقول: ((وإذ لم يكن كلُّ واحدٍ مِن الأُمَّة يعلم الخطة التي يجب تحديدها، أو ما عسى أنْ تشتمل عليه تلك الخطة مِن المضار الخفيَّة، فمن الواجب تكليف عقلاء القوم وحكماءهم الذين يُعتَمَدون في وضع أساليب التعليم، بترتيب كل ما يبلغ بالعلم والمتعلمين إلى الغاية المطلوبة في أقرب وقت، وعلى محجَّةٍ موصلة، وقد مرَّ بك في المقدمة الماضية أهمية البحث في التعليم، وهو اليوم عند علماء العمران عبارة عن البحث في نستقبل الأمة وتكوينها، حتى أصبح الشغل الشاغل لحكومات أوربا وفلاسفة عمرانها على ما هو عليه مِن الإتقان عندهم فما ظنُّك بنا ونحن عاكفون على أساليب بادت أزمانُها؟))[٦٨].

خامساً: يجب أنْ يتولى أمر التعليم ممَّن أحاط به خُبراً:يقول الإمام ابن عاشور: ((ومِن الضروري أنَّ الذي يتولى أمر نقد التعليم يجب أنْ يكون ممَّن أنشأه ذلك التعليم نفسه، عارفاً بحاجات الزمان وغايات العلوم، نظَّاراً إلى الروح لا إلى الجثمان، بعيداً عن متابعة السفاسف، خبيراً بما أصاب مزاج التعليم مِن العلل وبأنواع أدويتها، ومِن العجب أنَّ هذا شيء لم يخطر لأهل النهضة العلمية مِن رجال الدولة العباسية ببغداد، والدولة الأموية بالأندلس،

ولعلَّهم رأوا التعليم في نشأته محتاجاً إلى الحرية أكثر مِن احتياجه إلى المراقبة...، ويذكر عن الخليفة الرابع أنَّه كان يمرُّ على حلق العلم في جامع الكوفة، فينهى مَن لم يره أهلاً عن التكلُّم في العلم، وأنَّه أقرّض الحسن البصري مع صِغَرِ سنِّه))[٦٩]، وقد ذكر بأنَّ بعض الحوادث كتكليف المأمون لليزيدي بمطالعة كتاب الجاحظ في الإمامة، ثمَّ طالعها بنفسه؛ كان هذا الحدث وأمثاله كسحابة صيف[٧٠]، ثمَّ قال: ((يرجع تاريخ وضع المراقبة الصحيحة على التعليم والعلوم إلى أهل أوربا في نهضتهم إلى تأسيس الأكاديميات (المجامع العلمية التنقيحية) في أواخر القرن السادس عشر سنة (١٥٨٢م) بإيطاليا، منها في فلورنسا أكاديمية (ديلا كُروسْكَا) – أي: النخَّالة – التي أسسها الشاعر (غراتسيني) لنخل اللغة مِن كلِّ ما يستهجن...، ثمَّ تلتها أكاديميات أخرى همُّها مراقبة العلوم إلى أنْ أنشئت (نظارة المعارف)، وكان مِن أعمالها تنظيم برامج التعليم، ومراقبة المعلِّمين))[٧١]جعل أهل العلم يغيِّرون ما يرون تغييره مناسباً، وفيه يقول: ((وإنَّا نُعدُّ طلبة العلم لأنْ يجتنوا فوائد العلم، وأنْ تجتني المملكة منهم فوائد جمة، وقد جاء في ترتيب عام (١٢٩٢م) فصل (٥٢): "إذا رأى أهل العلم المصلحة في تغيير شيء ممَّا تقدَّم؛ فلا مانع مِن أنْ يعرض رأيه على المشايخ النظار..الخ"، وبذلك فُيح لأهل العلم باب واسع مِن الاصلاح لو شاءوا الولوج إليه))[٧٢].

سادساً: الالتزام بالضبط العلمي وفي هذا يقول الإمام ابن عاشور – رحمه الله تعالى–: ((إنَّا إذا تتبعنا حال التعليم وجدناه اختيارياً في سائر أحواله، فالمتعلم يتعلَّم باختياره، والمدرس يدرِّس ما يروق لديه مِن الكتب، ويقرر ما يختار مِن المسائل، والمؤلِّف يصطلح على ما يشاء في العلم، وبذلك كان التعليم في سائر عصوره اختيارياً وغير مضبوط، ولا متَّحد بطريقة واحدة، وقد قدَّمت أنَّ التعليم لا يصلح الأُمة ما لم يكن بصفة كلية عامَّة تسوِّي بينها في العوائق والأخلاق، وإلَّا لكان كلُّ فردٍ منها على خلقٍ كأنَّه أُمَّةٌ واحدة))[٧٣]((ومِن المبادئ لضبط التعليم بصفة طردية أربعة أمور: جعله إلزامياً، وضبط أوقات المدرسين، وضبط محل التعليم، وتقسيم التلامذة على العلوم والدروس))[٧٤].

سابعاً: يجب أنْ تشتمل الجامعات الإسلامية على مادة الآداب وتهذيب الأخلاق وشرح العوائد النافعة:يقول الإمام ابن عاشور: ((وهو السبب الذي قضى على المسلمين بالانحطاط في الأخلاق والعوائد، وقد اعتنى المسلمون في صدر الإسلام بذلك فتلقَّوا آداب القرآن وهدي الرسول، ثم عززوه في عصور نهضتهم بعلوم آداب الشريعة والمواعظ، أمَّا إهمالُه بعد ذلك؛ فسببه تأخر المسلمين، وقصور أنظارهم، واعتقادهم أنَّ العلم منحصر فيما تتضمنه القواعد العلمية كالنحو، والفقه، وبعبارة أخرى: ميل طائفة العلماء إلى الحفظ، والاستكثار مِن فروع المسائل، ومِن عدد العلوم)) [٧٥]، ثمَّ تحدَّث عن نتيجة إهمال دروس الأخلاق والآداب الإسلامية؛ فقال: ((ومِن العار الكبير أنْ نرى كثيراً ممَّن ينتصب لتعليم النشء تعجبك أجسامهم، وتبهجك بزَّتهم، وتعظم صورهم، ولكن ما بينك وبين أنْ ترمقهم بضدِّ ذلك إلَّا أنْ تحاكَّهم وتعاشرهم أو تجادلهم، فترى تلك الهياكل العظيمة فارغة مِن الفضيلة ومكارم الأخلاق والمروءة، وبذلك رزئت الأُمَّة أنفع عنصر في حياة الأُمم وكمالها وهو الأخلاق، وإذا كانت تلك حالة خاصة الناس؛ فما ظنُّك بعامَّتهم، وإذا ذهب وقت التعليم عن الطلبة ولم يتلقوا فيه فضائل الأخلاق فمِن العسير أو المتعذِّر تلقينها لهم مِن بعدُ؛ لأنَّ فيما يدخل فيه المحصِّل على الشهادة أو نحوه مِن معترك الحياة شغلاً شاغلاً عن ذلك...، وقال الحكيم (جول سيمون)[٧٦]: (ليست وظيفة المدرسة مقصورة على التعليم فقط، فإنَّ بثَّ الفضيلة والإقدام مِن أهمِّ وظائف المدرسة).))[٧٧].

وثامناً: إعطاء العلوم والتعليم حرية النقد الصحيح في المرتبة العالية وما يقرب منها:يقول الإمام ابن عاشور: ((وهذا خللٌ بالمقصد مِن التعليم وهو إيصال العقول إلى درجة الابتكار، ومعنى الابتكار: أنْ يصيرَ الفكرُ متهيِّئاً لأنْ يبتكرَ المسائلَ ويوسِّعَ المعلومات كما ابتكرها الذينَ مِن قبله؛ فيتقدَّم العلم وأساليبه، ولا يكون ذلك إلَّا بإحداثِ قوَّة حاكمة في الفكر؛ تميِّزُ الصحيحَ مِن العليل ممَّا يلقى إليه؛ ولهذا الغرض انتخبت في عصور النهضة لكل أُمَّةٍ طريقة التعليم البحثي النظري، وهذه طريقة المتقدمين مِن المسلمين؛ فإنَّهم ما كانوا يتابعون رأياً إلَّا بعد اتضاح دليله، وما كان تعلُّمهم لعلوم أساتذتهم، ومتابعتهم لأقوالهم إلَّا ليجعلوها أصولاً؛ يبنون عليها ما يحدثونه؛ اقتصاداً للوقت، وتقليلاً للمسافة.ثمَّ أصيب التعليم الإسلامي في عصور الانحطاط بشيء مِن سلب حرية النقد، وأصبحت متابعة كل ما يكتب فكرة سائدة في أهل العلم، نعم إنَّها تضعف وتقوى في جهات، كما علمت أنَّ إفريقيا داخَلَها هذا السقوط، ثمَّ لم يزل يتناهى حتى بلغ إلى أنْ يعد في هنات الناس عدم الرضا بما يقول المؤلِّفون، حتى إذا وجدوا قولين متناقضين أمسكوا عن الترجيح، وقالوا: (هذا قال، وهذا قال) خصوصاً في علم الفقه...، فإنَّ حظر النقد والبحث أمرٌ بإبقاء الفاسد على فساده، وهو شعبة مِن شعب الرضا بالموجود الذي هو مِن أكبر أسباب تأخرنا))[٧٨]. وقد يسأل سائل ويقول: كيف يستطيع المبتدئ في طلب العلم أنَّ يردَّ على أساطين العلم؟ فنقول: قد أجاب الإمام ابن عاشور على هذا السؤال بقوله: ((نحن نرى أنْ لا يقع النقد إلَّا في الدروس العالية، أمَّا التلامذة المبتدؤون والمتوسطون في أول الرتبة فإنَّا نلقي إليهم القواعد، وما كان مِن رأي فيه نظر ننقِّحُه ونلقيه إليهم مِن غير إشعارٍ بما كان فيه مِن الخلل، وكيف وقع تنقيحُه، حتى إنِّي كنتُ أصرفهم عن سرد الشرح – مثلاً – متى علمتُ أنَّ في ذلك الموضع ما لا يصلح تلقِّيه))[٧٩].

تاسعاً: إعطاء كل مرتبة مِن مراتب التعليم ما تحتاجه مِن الأسلوب اللائق بها والنافع فيها:

يقول الإمام ابن عاشور في هذا الأمر: ((إعطاء كل مرتبة مِن مراتب التعليم ما تحتاجه مِن الأسلوب اللائق بها والنافع فيها؛ ممَّا له أثرٌ في تقويم الفكر، وذلك بالاعتناء فيما يجعل ذهن التلميذ مراعياً لِما تجب مراعاته مِن القواعد في المرتبة الابتدائية؛ ليتمكن وهو ناشئ في التعليم مِن العمل بما علمه؛ وذلك أنْ يطالَب باستحضار المهم، وأنْ يلقى عليه ما له أثرٌ عملي، وأنْ يكرر سؤالَه فيه، وأنْ يكلَّف بتحريرات يظهر فيها أثر معرفته.وفي المرتبة المتوسطة يصير التعليم رامياً إلى تقوية التفكير والجمع والتحليل.وفي المرتبة العالية يصير التعليم يرمي إلى الاستنتاج والنقد، وفي كلِّ تلك المراتب لا تكون العناية إلَّا باللب مِن العلم، لا بالألفاظ والقشور))[٨٠]فنرى أنَّ الإمام ابن عاشور يضعُ كلَّ شيءٍ في نصابه، فهو يرى أنَّ لكل مرحلة مِن مراحل التعليم أسلوبها الخاص، ولا يصحُّ أنْ يستعمل أسلوب واحد لجميع المراحل كما نرى في بعض المؤسسات العلمية والدينية، وفي هذا يقول: ((ولاشكَّ أنَّ الغلو في الطريقة الاستحضارية – يقصد: طريقة الحفظ – يتعسر معه اشتراك الطريقة النظرية؛ لأنَّ الأُولى تعتمد المسارعة للاطلاع على الكتب، والاكثار مِن تكريرها، والثانية تقتضي البحث والتأمل فيها، والواجب أنْ يكون التعليم نظرياً، وأنْ يمزج بالاستحضار))[٨١]ثمَّ قال: ((ويلتحق بهذا الخلل – أيضاً – الخلل في تعيين العلوم والكتب لتلامذة قسم مِن أقسام التعليم؛ فإنَّك تجدهم يكلِّفون التلامذة المبتدئين في السنة الأولى بدرس فن المنطق، وبتلقي البراهين الكلامية عند تدريس المرشد المعيَّن، وتجدهم يلقون على تلامذة السنة الثانية الابتدائية في كتاب (قطر الندى) لابن هشام مسائل هي مِن عويصات مسائل النحو ملأ بها ابنُ هشام كتابَه))[٨٢].وهذا الأمر نعاني منه في مناهج كليتنا؛ إذ أنَّ مادة الأخلاق التي تعتمد على الشحن العاطفي، والمحاكاة الروحية؛ قد وضع له كتاب (حقائق عن التصوف) مع إجلالنا له ولمؤلِّفه، لكنَّه كتابٌ يركِّزُ فيه مؤلِّفُه على التعريفات، والتقسيمات، والأمثلة، وهذا الأمر لا نحتاجه في مادة الأخلاق بتاتاً، وإنَّما نحتاجه في مادة النحو التي وضعت الكلية لها (شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك) الذي يخلو مِن التقسيمات، والتعريفات، وبهذا نكون قد وضعنا الشيء في غير محلِّه، والله الموفِّق.

<u>عاشراً: التركيز على التمرينات والعمل بالمعلومات كما هو الغاية من كلِّ علم</u>:وهو موضوعٌ مهمٌ لمسنا فوائده أثناء كوننا متعلمين، وأثناء كوننا معلمين، وفي هذا يقول الإمام ابن عاشور: ((ولهذا نرى بالجامع بتونس، وفي كثيرٍ مِن بلاد الإسلام علوماً تدرَّس، وكتباً تُختَم، ولا نرى فيمن نحادث أو نجالس فصيحَ لسانٍ أو بليغ بيان، مع احتياجنا إلى إحياء اللغة العربية لتفي بالحاجات المدنية الواسعة؛ لأنَّ سعة التمدن تقتضي سعة اللغة بالضرورة...، يقرأ الناس علم البلاغة، وعلم الأصول، وعلم النحو، فلا نرى مَن يتجنَّب اللحن في قوله ودرسه، ولا مَن يشعر بالمقاصد البلاغية فينطق بها أو يفهمها، ولا مَن يرجِّح في مسائل الخلاف، وما سبب ذلك إلَّا أنَّهم إنَّما حصلوا ألفاظاً متحجِّرةً اصطلحوا أنْ يسمُّوها علماً، وهم يدرسونها وما يشعرون بعنوانها، وغايتها، والقصد منها، وما يجري مِن التمرينات في الدروس ليس هو إلَّا تمريناً سطحياً، وربَّما كان بعضه فوق عقل التلميذ؛ كتمرينات (شرح الآجرُّوميَّة)؛ فإنَّك تجد درس (أدوات الجزم) مشتملاً على شواهد مِن صميم الشعر العربي، ذات تراكيب لا قِبَل للتلميذ بالاستنارة منها في مرتبته تلك؛ كإعراب بيت زهير:

ومهما تكن عند امرئٍ مِن خليقةٍ وإنْ خالَها تخفى على الناس تُعلَم

ثمَّ يلقي الشيخ على التلامذة كيفية إعراب البيت، وهم يسمعون))[٨٣]((ووظيفتها – يقصد: المدرسة الخلدونية سابقة الذكر–: البحث بالطريقة العملية عن الوسائل الموصلة؛ لتوسيع نطاق المعارف بترتيب دروس ومحادثات في علوم التاريخ، والجغرافيا، والهندسة، والحساب، وحفظ الصحة، ومبادئ الطبيعة، والكيمياء...))[٨٤]وقد أكَّد على تكثيف التمارين أثناء الدروس، وأنَّ الضعف فيها شكَّل سبباً رئيساً في ضعف التلاميذ ولاسيما في مرحلة الابتدائية في الزيتونة، فقال: ((والتمرين في الدروس ضعيفٌ إلَّا بمقدار شواهد التآليف – على قلَّتها غالباً– خصوصاً في المرتبة الابتدائية، وإلَّا في شرح المكودي على الخلاصة، حيث يلتزم إعراب أبياتها، وهذا التهاون بالتمرين مِن أسباب القصور المشاهَد على غالب التلامذة، فقد يقرأ التلميذ الآجرومية مراراً، وهو يستطيع إعراب مثال لم يذكره الشارح))[٨٥]وقال في تكملة كلامه عن ضرورة تكثيف التمارين: ((ونسبة النباهة والتحصيل في التلامذة قليلةٌ بسبب إهمال التمرين، وترك مراجعة ما يقرؤونه قبل الدرس وبعده، وترك مطالبتهم باستذكار ما تعلموه، وترك تكليفهم بحفظ المتون حفظاً جيداً، وترك تعويدهم على فهم معنى المتن الذي يحفظونه، فإنَّك لَتسألُ التلميذ عن مسألة فيعجز عن الجواب، ويتذكر عبارة المتن، ولكنه يبقى يلوكها ولا يكاد يبين عن المراد منها))[٨٦].

<u>حادي عشر: دعا الشيخ إلى الاقتصاد في المواهب واكتساب الكثير من المعرفة</u>:فهو بهذا يدعو إلى التكامل المعرفي، بالالتزام بقواعد نظام التعليم والتوجيه، والتي منها ضرورة الإقلاع عن التعليم البطيء مثل الغوص في الكتب والوقوف على كلِّ شاردة وواردة فيها؛ لأنَّه يؤخِّرُ التحصيل للطالب، فيفوته أمور كثيرة، يقول الإمام ابن عاشور: ((إنَّني على يقين أنَّني لو أتيح لي في فجر الشباب التشبُّع مِن قواعد نظام التعليم والتوجيه لاقتصدتُ كثيراً مِن مواهبي، ولاكتسبتُ جمَّاً مِن المعرفة، ولسلمتُ مِن التطوُّح في طرائق تبيَّن لي بعد حينٍ الارتدادُ عنها، مع أنِّي أشكر ما منحتُ به مِن إرشادٍ قيِّمٍ مِن الوالد والجدِّ ومِن نصحاء الأساتذة، ولا غنى عن الاستزادة مِن الخير))[٨٧]، ويضربُ مثالاً في هذا الأمر بعد أنْ عرَضَ ما حصل لصديقه الشيخ

محمد بن الخضر بن الحسين في كونه كان يتوسَّع في الدروس حتى وصل به الأمر إلى أنْ لا يتجاوز درسه شرح شطر مِن (ألفية ابن مالك)، ثمَّ رأى أنَّ هذا الأمر غير منتج؛ فأقلع عنه، قال الإمام ابن عاشور: ((وأنا – أيضاً – قد عرض لي مثل ذلك في تدريس المقدمة الآجرُّومية، فكنتُ آتي في درسي بتحقيقات مِن شرح الشاطبي على (الألفية) وفي درس (مقدمة إيساغوجي) فأجلب فيه مسائل من (النجاة) لابن سينا، ثمَّ لم ألبث أنْ أقلعتُ عن ذلك))[٨٨].

الخاتمة

بعد أنْ مَنَّ الله – عز وجل – علينا بإكمال البحث؛ سجَّلنا ما توصَّلنا إليه أثناء كتابته مِن نتائج وتوصيات، وهي كالآتي:

أولاً: النتائج:

١. إنَّ قضية (التكامل المعرفي) مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بـ(بمناهج الجامعات الإسلامية)، فمناهج الجامعات الإسلامية إذا لم يراعَ فيها (تكامل المعرفة) فهي مناهج غير متكاملة، ولا تخرج طلاباً أكفاء.

٢. لا ريب أنَّ دراسة التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية، يتطلب ذلك منَّا مراجعة مناهج هذه العلوم وتفكيكها، وإعادة النظر فيها على ضوء رؤية منهجية ومعرفية؛ ممَّا تكشف عنه القوانين، والسنن المبتوتة في الوجود سواء كانت تجريبية أم اجتماعية.

٣.إنَّ التكامل المعرفي بين العلوم الإسلامية؛ إنَّما يتناول من جهة مناهج هذه العلوم، وتداخلها أحياناً كثيرة على مستوى التوظيف، بحيث يصعب استغناء بعضها عن بعض، وهذا ما نسميه بـ(التنوع المنهجي)، وهذه ظاهرة تهيمن بشكل بارز على العلوم الشرعية، إذ مِن الصعوبة بمكان أنْ ينفصل بعضها عن بعض، وبخاصة على مستوى التنزيل والتطبيق.

٤. إنَّ تمايز موضوعات العلوم الإسلامية لا يمنع البتة مِن أنْ يحصل التكامل فيما بينها على مستوى المناهج، ونحسب أنَّ هذه ظاهرة لا تقتصر على العلوم الإسلامية وحدها، وإنَّما تكاد تشمل كافة العلوم، فقد قرَّر المتخصصون في المناهج، وعلماء البحث المعرفي أنَّ تطور المعرفة إنَّما هو رهين بقدرة الباحث، والعالِم على إعمال مجموعة مِن المناهج لتحصيل المعرفة، أو تفكيكها، وتحليلها، وهذا ما نجد الشيخ ابن عاشور قد ركَّز عليه تركيزاً عظيماً؛ ولاسيما في كتابه (أليس الصبح بقريب)، وقدْ وُفِّق للوصول إلى تطوير (الجامعة الزيتونة) والنهوض بها، ولاسيما مِن هذا الجانب.

ثانياً: التوصيات:

١. ندعو الاخوة طلبة العلم في دراستهم إلى الجمع بين العلوم ولاسيما المتداخلة كالتفسير وعلوم اللغة العربية، وهكذا؛ وذلك لكي تنمو المعرفة عندهم حتى يقربوا مِن الإبداع، ويجتنبوا الخطأ والزلل الناتجَيْن عن عدم الجمع بين العلوم المتداخلة.

٢. ندعو القائمين على الجامعات ولاسيما الشرعية مراجعة المناهج ودراستها دراسةً متأنيةً؛ لكي تخرج أجيالاً على دراية تامة بما في العلوم، وقد أخذوا علوماً ومعارف متكاملةً.

٣.إنَّ الجامعات الإسلامية مُطالبة بتطوير المناهج التي تقوم بتدريسها للطلاب، وغربلتها لتكون متوافقة مع التقدم التكنولوجي الذي وصل إليه العالم، كما أنها مطالبة باستحداث برامج وتخصصات علمية جديدة تتوافق مع أحدث ما توصل إليه العلم الحديث، وتحقيق التميز والتنوع في برامجها.

المصادر والمراجع

١.إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع: عبد السلام بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن الطالب بن محمد – فتحا– ابن سودة (ت: ١٤٠٠هـ)، المحقق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط/١، (١٤١٧هـ– ١٩٩٧م).

٢.الاجتهاد القضائي المعاصر ضرورته ووسائل النهوض به: د. قطب الريسوني، بحث مقدم إلى ندوة القضاء الشرعي في العصر الحاضر الواقع والمأمول، الشارقة – الإمارات العربية المتّحدة، ربيع الأول، (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م).

٣.أسلمة المعرفة المبادئ العامة وخطة العمل: د. إسماعيل راجي الفاروقي، ترجمة عبد الوارث سعيد، دار البحوث العلمية – الكويت، (١٩٨٣م).

٤.الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين،ط/ ١٥، أيار/ مايو (٢٠٠٢م).

٥.أليس الصبح بقريب – التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع– تونس، ودار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة – مصر، ط/ ١، (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م).

٦.انبعاث الإسلام في الأندلس: علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني (ت: ١٤٢٢هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط/ ١، (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م).

٧.إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت: ١٣٩٩هـ)، عنى بتصحيحه وطبعه على نسخة المؤلف: محمد شرف الدين بالتقايا رئيس أمور الدين، والمعلم رفعت بيلكه الكليسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

٨.تاريخ التراث العربي (الشعر إلى حوالي سنة ٤٣٠هـ): الدكتور فؤاد سزكين، نقله إلى العربية: د. محمود فهمي حجازي، راجعه: د. عرفة مصطفى، د. سعيد عبدالرحيم، أعاد صنع الفهارس: د. عبد الفتاح محمد الحلو، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤١١هـ – ١٩٩١م).

٩.تاريخ الجزائر الثقافي أو(الموسوعة الثقافية الجزائرية): أبو القاسم سعد الله (ت: ١٤٣٥ هـ)، دار البصائر للنشر والتوزيع– الجزائر، الطبعة: طبعة خاصة، (٢٠٠٧م).

١٠. تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف بطرس كرم، (ت: ١٩٥٩م)، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط/ ٥.

١١. تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ (ت: ١٤٠٨ هـ)، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط/ ٢، (١٩٩٤م).

١٢. التكامل المعرفي في العلوم: د. محمد البشاري، مقالة منشورة في مركز الاتحاد للأخبار، عنوان الرابط: (https://www.aletihad.ae/opinion/)، تاريخ الزيارة: (٢٣/ ٩/ ٢٠٢٣م).

١٣. التكامل المعرفي بين العلوم ضرورة حضارية ونهضوية، مقالة في موقع (نقطة علوم)، ديسمبر، (٢٠٢٠م) عنوان الرابط: (https://bluenoqta.com/17512)، تاريخ الدخول (٤/ ١١/ ٢٠٢٣م).

١٤. التكامل المعرفي في الإسلام– التكامل بين الوحي والعقل أنموذجاً، أروى عبد الرحمن محمد البرادعي، بحث في شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة (١٤٤٣هـ – ٢٠٢١م).

١٥. التكامل المعرفي– مقاربة مفاهيمية، د. عمار قاسمي، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، بحث في مجلة آفاق علمية، مجلد (١٠)، العدد (١)، عام (٢٠١٨م).

١٦. التكامل المعرفي ودوره في قيام الحضارة الإسلامية وبناء الأمة المحمدية، ياسين مغراوي، مقالة منشورة في موقع (تعليم جديد)، عنوان الرابط: (https://www.new-educ.com/about-us).

١٧. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ ١، (٢٠٠١م).

١٨. الدليل إلى المتون العلمية: عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط/ ١، (١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م).

١٩. الرسالة: للإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطلبي القرشي المعروف بالشافعي (ت: ٢٠٤هـ) تحقيق: أحمد شاكر، مطبعة مكتبه الحلبي – مصر، ط/ ١، (١٣٥٨هـ – ١٩٤٠م).

٢٠. عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية: مصطفى محمد حميداتو، تقديم بقلم: عمر عبيد حسنه مصطفى.

٢١. قضية التكامل المعرفي والمنهجي بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية – توظيف المنهج الأصولي نموذجاً، د. الناجي لمين، بحث في مجلة الواضحة، وهي مجلة علمية محكمة صادرة عن دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا– الرباط– المغرب، العدد (٧).

٢٢. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط/ ٣، (١٤١٤هـ).

٢٣. متطلبات تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي وتحقيق أهدافه ومعيقات ذلك، عشوارية السعيد، بحث في المؤتمر العلمي الدولي: التكامل المعرفي ودوره في تمكين التعليم الجامعي مِن الإسهام في جهود النهوض الحضاري في العالم الإسلامي، (٢٠١٠م).

٢٤. معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف بن إليان بن موسى سركيس (ت: ١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس، بمصر (١٣٤٦هـ – ١٩٢٨م).

٢٥. معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر: عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط/ ٣، (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م).

٢٦. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م).

٢٨. مِن أعلام الزيتونة شيخُ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور– حياته وآثاره، للباحث بلقاسم الغالي – دار ابن حزم – بيروت، ط/ ١، (١٩٩٦م).

٢٩. مناهجنا آخر الحصون– حاجتنا إلى منهاج إسلامية: د. سعد الشدوخي، بحث في مجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي، العدد (١٧٣).

٣٠. الموافقات: للإمام إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المعروف بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط/ ١، (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م).

٣١. الموسوعة التاريخية، وصفه: موجز مرتب مؤرخ لأحداث التاريخ الإسلامي منذ مولد النبي الكريم ﷺ حتى عصرنا الحالي، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت، عنوان الرابط: (dorar.net).

٣٢. موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، المؤلف: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر.

٣٣. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت: ١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية، استانبول (١٩٥١م)، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

هوامش البحث

(١) ينظر: معجم المفسرين مِن صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، ٢/ ٥٤١؛ والموسوعة التاريخية –موجز مرتب مؤرخ لأحداث التاريخ الإسلامي منذ مولد النبي الكريم ﷺ حتى عصرنا الحالي، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، ١٠/ ٢٢٣.

(٢) ينظر: الأعلام، للزركلي، ٦/ ١٧٤؛ وانبعاث الإسلام في الأندلس، علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني (ت: ١٤٢٢هـ)، ص ٣٩٥.

(٣) ينظر: الموسوعة التاريخية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، ١٠/ ٢٢٣؛ ومِن أعلام الزيتونة شيخُ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور– حياته وآثاره، للباحث بلقاسم الغالي، ص ٥.

(٤) ينظر: انبعاث الإسلام في الأندلس: علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني (ت: ١٤٢٢هـ)، ص ٣٩٥.

(٥) ينظر: المرجع نفسه.

(٦) ينظر: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت: ١٣٩٩هـ)، ٢/ ٣٧٨؛ وإيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت: ١٣٩٩هـ)، ٤/ ٧٢٦؛ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف بن إليان بن موسى سركيس (ت: ١٣٥١هـ)، ١/ ١٥٦؛ والدليل إلى المتون العلمية: عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، ١/ ٣٠٠.

(٧) ينظر: الأعلام، للزركلي، ٦/ ٣٢٥؛ وإتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، عبدالسلام بن عبد القادر بن محمد ابن سودة (ت: ١٤٠٠هـ)، ٢/ ٦٠٤؛ وتراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ (ت: ١٤٠٨ هـ)، ٣/ ٣٠٧ – وما بعدها.

(٨) ينظر: الأعلام، الزركلي، ٢٦٨/٦؛ وتراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ٣٠٤/٣، ٣٥٥– ٣٥٧.

(٩) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ٤/ ٢٢٩ – ٢٣٠.

(١٠) ينظر: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية: مصطفى محمد حميداتو، ص ٥١، ٦١؛ والموسوعة التاريخية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، ٩/ ٤٥٩.

(١١) ينظر: تاريخ الجزائر الثقافي (الموسوعة الثقافية الجزائرية)، أبو القاسم سعد الله، ٧/ ٧٠.

(١٢) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ (ت: ١٤٠٨هـ)، ٣/ ٣٠٦.

(١٣) ينظر: المرجع نفسه، ٣/ ٣٠٧، وهو الكتاب الذي نتناوله بالدراسة، وهو مطبوع.

(١٤) ينظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، ٢/ ٥٤١، وهو مطبوع.

(١٥) ينظر: تاريخ التراث العربي (الشعر إلى حوالي سنة ٤٣٠هـ)، د. فؤاد سزكين، ٢٣٠/٣، وهو مطبوع.

(١٦) ينظر: الأعلام، للزركلي، ٦/ ١٧٤.

(١٧) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ (ت: ١٤٠٨ هـ)، ٣/ ٣٠٤ – ٣٠٥.

(١٨) ينظر: المرجع نفسه.

(١٩) ينظر: المرجع نفسه.

(٢٠) ينظر: المرجع نفسه.

(٢١) ينظر: الموسوعة التاريخية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي السقاف، ٢٢٣/١٠.

(٢٢) ينظر: الأعلام، للزركلي، ٦/ ١٧٤؛ ومعجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، ٢/ ٥٤١.

(٢٣) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ، ٣/ ٣٠٥.

(٢٤) ينظر: المرجع نفسه، ٣/ ٣٠٤، ٣٠٦.

(٢٥) ينظر: معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، ٢/ ٥٤١.

(٢٦) ينظر: الأعلام، للزركلي، ٦/ ١٧٤؛ ومعجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، ٢/ ٥٤١.

(٢٧) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، ٣/ ٣٠٤.

(٢٨) ينظر: الموسوعة التاريخية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي السقاف، ١٠/ ٢٢٣.

(٢٩) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين: محمد محفوظ (ت: ١٤٠٨هـ)، ٣/ ٣٠٥.

(٣٠) ينظر: أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص٩٩، ١٣٨.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٧.

(٣٢) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، ٥/ ٣٦١، مادة (نهج)؛ وينظر: تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، ٦/ ١٢، مادة (نهج)؛ ولسان العرب، ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، ٢/ ٣٨٣، مادة (نهج).

(٣٣) موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، تأليف: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- مصر، ص ٦٣٠، مادة (المنهج).

(٣٤) مناهجنا آخر الحصون- حاجتنا إلى منهاج إسلامية: د. سعد الشدوخي، ص ٢٤.

(٣٥) التكامل المعرفي بين العلوم ضرورة حضارية ونهضوية، مقالة في موقع (نقطة علوم)، ديسمبر، (٢٠٢٠م) عنوان الرابط: (https://bluenoqta.com/17512)، تاريخ الدخول (٤/ ١١/ ٢٠٢٣م).

(٣٦) ينظر: التكامل المعرفي في الإسلام- التكامل بين الوحي والعقل أنموذجاً، أروى عبد الرحمن محمد البرادعي، ٤/ ١؛ وينظر: التكامل المعرفي – مقاربة مفاهيمية، د. عمار قاسمي، ص ١٥٦.

(٣٧) التكامل المعرفي ودوره في قيام الحضارة الإسلامية وبناء الأمة المحمدية، ياسين مغراوي، مقالة منشورة في موقع (تعليم جديد)، عنوان الرابط: (https://www.new-educ.com/about-us)؛ وينظر: متطلبات تجسيد مشروع التكامل المعرفي في التعليم الجامعي، عشوارية السعيد، ص٧٧٢.

(٣٨) التكامل المعرفي في العلوم: د. محمد البشاري، مقالة منشورة في مركز الاتحاد للأخبار، عنوان الرابط: (https://www.aletihad.ae/opinion/)، تاريخ الزيارة: (٢٣/ ٩/ ٢٠٢٣م).

(٣٩) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٢.

(٤٠) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٠٤.

(٤١) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ٣٢ – ٣٣.

(٤٢) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ٣٤.

(٤٣) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ٣٦ – ٣٧.

(٤٤) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ٣٧- ٣٨.

(٤٥) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ٦٧.

(٤٦) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٦١.

(٤٧) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٦٢ – ١٦٣.

(٤٨) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٦٣ – ١٦٤.

(٤٩) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٦٥.

(٥٠) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٦٥.

(٥١) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٦٩.

(٥٢) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٧٧.

(٥٣) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٨١.

(٥٤) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٨٤.

(٥٥) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٩١.

(٥٦) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٩٤.

(٥٧) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٩٦.

(٥٨) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٩٧.

(٥٩) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ٨٩.

(٦٠) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ٩٧ – ٩٩.

(٦١) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ٩٩.

(٦٢) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٠٠.

(٦٣) ينظر: أسلمة المعرفة: د. إسماعيل راجي الفاروقي، ص ٣١.

(٦٤) قضية التكامل المعرفي والمنهجي بين العلوم الإسلامية والعلوم الإنسانية – توظيف المنهج الأصولي نموذجاً، د. الناجي لمين، بحث في مجلة الواضحة، وهي مجلة علمية محكمة صادرة عن دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا– الرباط– المغرب، العدد (٧).

(٦٥) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص١٠٠ – ١٠١.

(٦٦) الرسالة: الإمام الشافعي، ص ٥٠٩.

(٦٧) ينظر: الموافقات: الإمام الشاطبي، ٥/ ١٣٥؛ والاجتهاد القضائي المعاصر – ضرورته ووسائل النهوض به: د. قطب الريسوني، ٦/ ٢٨ – وما بعدها.

(٦٨) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٠١.

(٦٩) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٠١.

(٧٠) ينظر: أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص١٠١ – ١٠٢.

(٧١) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٠٢.

(٧٢) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٠٥.

(٧٣) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٠٥.

(٧٤) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٠٥.

(٧٥) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٠٨.

(٧٦) جول سيمون، حكيم روحي عقلي، وسياسي، فرنسي، صنَّف عدَّة مؤلفات، منها: (تاريخ مدرسة الاسكندرية)، و(الدين الطبيعي)، و(حرية الضمير)، (ت: ١٨٩٦م). ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف بطرس كرم، (ت: ١٩٥٩م)، ص ٣٧٢.

(٧٧) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٠٨ – ١٠٩.

(٧٨) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٠٩ – ١١٠.

(٧٩) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١١١.

(٨٠) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١١١.

(٨١) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١١٢.

(٨٢) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١١٢.

(٨٣) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١١٢ – ١١٣.

(٨٤) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١١٨.

(٨٥) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٣٦.

(٨٦) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١٣٧ – ١٣٨.

(٨٧) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١١.

(٨٨) أليس الصبح بقريب، ابن عاشور، ص ١١.